إسماعيل العليل

The defective Ismail

نيرين

كان (إسماعيل) يعمل في الحقل، وينزع أطراف المحصول بسكينته القرن غزال، فجاءه عم (أمين) الأمين، لنصائحه، وقد نصحه البعض بأن يألف كتاب، ولكنه قال، "ولمن سوف ألفه"، ووجد نفسه ناصحا لقومه هنا أفضل، فالآخرون دائما يشعرون منه بالغرور لنفسه، لأنهم يشعرون أنه لا يسمع لنصائح أحد، قائلا له عم (أمين) الأمين وقد كان رجل قصير ليس بقزم يبدو في ١٦٧ سم، وله شعر أبيض، ولحية قصيرة بيضاء، ولبسه ليس بالغالي، ولا بالرخيص، ولكنه يجده مناسبا، فهو يلبس كأهل الحضر قليلا، البنطال البيج الفاتح من القماش، والقميص الكاروهات في بيج، فوقهم السديري الغامق، ولا يحب أن يلبس الأحذية المقفولة من الكعب، فيلبس هذا الحذاء مثل أهل قريته، جاء واخذ يجز مع (إسماعيل) المحصول، ولكن بإتقان أكبر قائل له، ووجده أنه لا يبالي إلا بالذي يراه مهما فقط، وهو في الحقيقة لا يريد أن يرى أي شيء مهما في هذه الحياة، قائلا له عم (أمين) الأمين، "لا تحقر من أي شيء في هذه الحياة يا بني"، فنظر له (إسماعيل)، وهو مكشر الوجه من الشمس ثم حول نظره للأمام وهو ينظر في اللامكان ويقطع من الورق الأخضر بيده يشده، وقد كان (إسماعيل) شاب أسمر ، وكأنه من تأثير الشمس، لا يهتم ببشرته الجافة، المتربة، يلبس الطاقية البيج المتربة، والجلابية الرمادي، وقد كان شابا نحيفا

وطويلا، وكأن جسده لم يتحرك، بالرغم من عمله في الحقل الذي يكرهه، ولكن يجب أن يعمل، فإن أمه تنهره، هي وزوجها ويوبخانه .. وعندما وجد عم (أمين) الأمين لامبالاته، فتوقف عن مساعدته، وقال له، "اسمع يا (إسما)، لا تأخذ كل شيء بلا مبالاة فتخسر كثيرا"، وهو ينظر ل (لامي) التي تأتي من بعيد، ويقول مريحا لعم (أمين) الأمين، "ماش يا عم (أمين) يا أمين"، وهو يربت على كتفه بطريقة لامبالاتية، فنظر عم (أمين) على يده التي على كتفه هكذا وهو لا يحب ذلك، "حسنا يا (إسما)، أنا نصحت لك، وانت حر"، وتركه وذهب.

لم يهتم (إسماعيل) لمرواحه ولا لمجيئه، ولايزال يلوي في الفروع الخضراء التي معه، وهو ينظر إلى (لامي) التي تمر ولا تعيره اهتماما، وتتمنى أن لا يكون في هذه القرية أبدا، فهي لن تنظر لمثله، فهو كالكابوس لها في هذا القرية، وكل ما تراه أو تعلم أنه واقف، انها حتى لا تحب النظر إليه، فهي تعلم هكذا فقط، لانها مضطرة تعد من هذه المنطقة، كل ما تشعر بوجوده، تشعر بالضيق،

ويترسم ذلك على وجهها الذي يعبس حين فقط تشعر به، وتعد ولا كأنه موجود، وبخطى أسرع من ذي قبل، وهي تنظر أمامها، أو الوجهة الأخرى، وهو ينظر لها وهي تعد، ويذهب جسده معها، بداية من وجهه، وهو لايزال يلوي في هذه الفروع، حتى تذهب بعيدا قليلا، ثم يرجع مرة أخرى إلى ما يفعله، فهو يعلم تماما أنه ليس لديه فرصة، ولو إنه يشعر بوجود ثغرة ما لها، فهو يعلم إنه فقط لو دخل هذه الثغرة، سيستطيع أن يدخل عالمها، ويقع فيه، وستراه حينها كما تحب، وبالتأكيد، فهو موقن تماما من هذا، بأنها حينها بالتأكيد ستقع في حبه، لأن هذه ثغرة الحب التي تخصها، لكن لا يعلم ما هي .. نسى تماماً الموضوع كأنه لم يحدث ككل مرة، هو فقط يحدث له ذلك عندما يراها، ويشعر دائما وكأنه لديه فرصة ما اتجاهها لا يعرفها، فهو فقط يحبها، ويصر تماماً ولا يرى غيرها على أنه سيتزوجها، لا يعلم كيف؟ ولا يهم.

جمع ما جمعه وذهب إلى بيت أمه ليجلس على المصطبة، متكأ على ذراعه وفارد نفسه عليها، ولايزال يلعب في هذه الفروع التي في يده، ويضعها مرة في فمه، يعضها بأسنانه بدون شعور، فقط يحرك يده بها، وهو ينظر لأمه التي تنظف البيت .. ثم قال، "كل هذا

تنظفين البيت"، ويشد هذه الفروع بأسنانه في ضجر، فقالت له "تعالى سد هذه معي، حتى لا يدخل علينا فأر، أو صرصار، أو أي حشرة".

"لا تقلقي يا ماما، هذه صغيرة على فأر، ولا ضرر من أي حشرة، انها مجرد حشرة، إذا دخلت سأفعصها لك برجلي، لا تقلقي"، ثم خرج .. وتضايقت الأم من ردة فعله هذه، وهذا سبب شجارهما معا طوال حياتهما، خرج ولايزال يعض في هذا الذي معه، ويلويه، وهو ينظر بعيدا إلى الشبان، وأخذت والشمس تنحني لصلاة العصر، وتتلطف تنزل على عينيه التي إن تضرب بهما الشمس تظهر لونهما البني الفاتح الذي يلمع مع أشعة الشمس .. وهو يذهب باتجاه الشبان، الذين لا يطيقونه أيضا، فهو غير محبوب أبدا، لكونه انسان تافه، أو لا يصلح لأي شيء كما يرونه، ويرونه ضعيفا، ويشعرون بفقره وبدنوه، وهو ينظر إليهم هكذا بعينين لا تحملان أي شيء، ولا يزال يلوي في هذا، ثم قال، "هيه"، وهو ينظر إليهم هكذا، ويبان عليه الضعف في الشخصية، ليس لديه ما يقوله، فقال له أحد الشبان، وقد كان مرحا، ومنفتحا، ومشاكسا، "هيه"، رافعا رأسه له، وهو يبتسم أقرب للضحك، ووضع يده على كتفه، وكأنه مسيطر عليه، ويديره، "ايه (إسمااا)"، ويضحك، ويضحك كل من حوله، ابتسم (إسماعيل) وهو ينظر خلفه ولكن لا يرى (بلال) الذي كان أقصر منه، يده على كتفه، وكان

خلفه، قليلا، لفرق الطول بينهما، وقال (إسماعيل)، "ايه يا (بلال)".

"أقول لك ايه يا (إسما)، ما تروح تضبط علينا هكذا، وتشوف لنا امك عاملة ايه، النهار هذا"، وهو ينظر خلفه (إسماعيل)، "ماذا؟!"، ويدفعه (بلال), في وسط ضحكات باقية الرفاق، فذهب (إسماعيل) وهو لا ينظر إليهم، فذهب له (بلال) يضحك، وحاوط كتفيه، بكفيه، وهو يبتسم ابتسامته الأقرب للضحك، "تعالى، تعالى يا (إسما)، أجلس"، فأجلسه على فرع الشجرة بجانبهم، ولكنهم كانوا كأنهم مجموعة لوحدهم، وهو فيه لوحده وجالس، لايزال يلعب في هذه الفروع، فقال أحدهم يدعى (أحمد) وكأنه يريد أن يراه (بلال) مثله، كما يحب، "لماذا يا أخي أجلبته ليجلس معنا؟"، فقال (بلال)، بحركة رأس هكذا، "اتركه، اتركه، ليجلس معنا"، بلا مبالاة له، ثم بدأوا يتكلمون ويضحكون و (بلال) ينظر له ويضحك، ويراه ليس معهم، ولا حتى يشاركهم الضحك، جالس واضع ذراعيه برفعة كتفيه على جذع الشجرة ويحرك رجليه، وهو يراهم يتكلمون مع بعضهم، وكأنه ليس موجود، ومرت (لامي) ذاهبة إلى أخيها، وحين رآها أراد انه يندمج معهم، بل شعر أنه يجب ذلك، ولكنه قال لا يهم في نفسه، وجاءت وقفت، وهى تلعب بضفيرتها الطويلة على خصرها، "أن أمي تريدك".

"طيب، اذهبي انت"، وهو يشير لها، بصوت رجولي .. ذهبت وهى تتضايق من وجود هذا الذي مدعو (إسماعيل)، هي فقط ذهبت لترى (تائق) الذي كان يجلس بجانب أخيها، حتى إذا جاءت تستطيع أن تراه من بعيد قبل أن تقرب، وهو أيضا يستطيع أن ينظر إليها، وكان أجمل شاب في القرية، بهذا الشعر الكستنائي الناعم الذي ينزل على جبينه وكان دائما يحركه بأصابعه ناحية اليمين من ناحية جبهته حتى لا يضايقه، وهذا الوجه الدائري الخمري، والذي تلاحظ به الوسامة مع البراءة والثقة في النفس يعطونه هذا الحضور الذي في شخصيته، هذا غير جسده القوي الممشوق، وكأنه ليس به غلطة، ويعلم جيدا أن فتيات القرية جميعهن ينظرن إليه، حتى وإن حاولت إحداهن تمثيل عكس ذلك تكبرا، ولكنه يعلم هذا الشعور أيضا، ويحسدن (لامي) على أخيها وصداقته له، ويشعرن انها تتحجج له، ولكن (لامي) الوحيدة التي استطاعت أن تلفت نظره إليها، وأصبح يراها كثيرا، وينظر إليها في خجل وهو يبتسم ابتسامته الساحرة الخجولة، وهى أيضا لدرجة أنها كانت لا تستطيع أن تنظر له بهذه الابتسامة من كثرة سحرها، وجمالها، فهي بالكاد كانت تستطيع أن تنظر له، من شدة جماله الذي يُخجل ويُغري أي أحد، وكانت تبتسم وتضع يدها على فمها وهي تنظر إلى الأرض مطأطأة الرأس من الخجل.

أقبل الليل وتركه الجمع، ذاهبين مع بعضهم البعض، يتحدثون ويضحكون، وهم نسيانيه تماما، وهو لايزال جالس جلسته هذه، ويحرك رجليه، وعلى وجهه ابتسامة حرج لا يشعر بها، ثم فجأة تحول وجهه إلى اللامبالاة والعبس مرة أخرى، ناظرا يمينه إلي بيته، وكأنه يرى والدته، لعلمه بإنها داخله، وكان الدار مضيء، لم يرد أن يدخل البيت، فالهواء عليل، ثم أسند ظهره على الشجرة التي كانت خلف الجذع الذي يجلس عليه، وأجلب عود القصب الذي كان بجانبه، وبدأ يقشر به، فمر عليه رجل من رجال القرية، قائلا له، "ادخل يا (إسما) أو روح صلي، فالشياطين تنتشر في هذا الوقت"، لم يبالي له (إسماعيل) وهو يحرك رأسه بأنه لا يهم، ثم حرك له يده، وهو مشغول بمص القصب، فمشى الرجل يحرك يده تضايقا من هذا .. متوجه لزاوية ليصلي.

وظل جالس (إسماعيل) يقشر القصب بأسنانه، ويبصقه، حتى جاءه أحدهم، فنظر له، وكعادته لم يهتم كثيرا، وهو يقشر في القصب، والظلام يغيم على المكان، فجاء الرجل، يفتش على شيئا في جذع الشجرة هذا، فلم يجده، وقال ل(إسماعيل) وهو ينظر إليه في "أين الكيس الذي كان في هذه الشجرة"، ولايزال (إسماعيل) يأكل في هذا القصب، "كيس ماذا؟"، فأمسكه الرجل على غفلة من رداءه بقوة ما جعل طاقيته تسقط من على رأسه، وهو متفاجئ وقد أخافته هذه السحبة، والرجل ينظر إليه في غضب ويقول، "الكيس الذي كان بداخل هذا الجذع، أين هو؟"، وكان يخفض صوته، فهو يعلم أن القرية لا تخرج في هذا الوقت، ومن كان في الخارج يدخل إلى بيته أو يذهب لصلاة، فأكمل قائلا، "أعطيه لي وإلا..".

في خوف، "أنا لا أعرف أي كيس .. حقا"، فضيق الرجل عينيه، وهو يدقق فيه، "إذًا لماذا لست في بيتك أو في المسجد؟"، فضيق (إسماعيل) عينيه فقد علم أنه ليس من القرية، لانهم لا يقولون عليه مسجدا، بل زاوية، فحرك (إسماعيل) رأسه إلى اليمين قليلا، ولم يستطع الرد، فهزه الرجل، فقال له، "أنت لست من هنا".

فقال الرجل، "أقول لك أين الكيس؟"، فجاء في باله أن يقول مع (تائق) فهو يعلم هذا الحب الذي تحبه له

(لامي)، فهزه الرجل وكاد أن يضربه، فرفع (إسماعيل) يده أمام وجهه وقال سريعا، "إنه مع (تائق)".

"من؟".

"(تائق)، (تائق) هذا الولد ذو الجسد الكبير".

"ذو الجسد الكبير؟!".

"قوي، قوي"، فضيق الرجل عينيه أكثر ليعرف على من يتكلم، فأكمل (إسماعيل)، "سأريك بيته"، فجذبه الرجل من رداءه بقوة، جعلته يقفز من إثرها، وهو يجره كالماعز وراءه .. ثم قليلا وأشار له (إسماعيل) على بيته، فتركه الرجل بدفعه على الأرض، وذهب باتجاه البيت.

رجع (إسماعيل) متضايقا للبيت الذي فيه أمه وزوجها، وفي يده عود القصب، فوجدهم جالسون حول الطبلية يأكلون السمك مع البصل الأخضر وهى تقول له أمه والأكل في فمها، "أجلس .. لماذا لم تدخل البيت، ألا تعلم أن لا أحد يخرج في هذا الوقت، إلا المصلين"، فنظر لها، وهو يحرك فمه، وقال، "أنا ذاهب لأصلي".

فقال زوج أمه (جائب)، "اقعد كل"، وهو يمد يده إلى الجرجير ويضعه في فمه، وأخته (آمال) تأكل ولا

تبالي، فذهب ليتوضأ .. فذهبت وراءه أخته، قائلا لها، "ما بك؟!"، ببعض الغضب.

ردت عليه بنفس الرد من الغضب أيضا، "ابيه؟! أريد أن أغسل يدي".

"ألا تصبرين لما أتوضأ" .. غسلت يدها سريعا، وحركتها لنثورة المياه، فدفعها (إسماعيل) بقوة، وقعت منها على الأرض، فجرت الأم سريعا والأكل في فمها، "ايه يا (إسماعيل)؟!"، بغضب وفزع.

"لا تقلقي لهذه الدرجة، هى لم تقع من العاشر يعني!".

"من العاشر ماذا يا (إسماعيل)؟! كان من الممكن أن تقع على شيء أو يحدث لها شيء".

"لا تكبري الوضع".

فقال زوج أمه وهو يضع الأكل في فمه، "انتبه يا (إسماعيل)، وتجهز حتى نذهب بعد العشاء لنقضي على الفئران"

"يادي الفئران التي لا ننتهي منها .. بالليل فئران، وبالنهار غربان".

"وبالليل أيضا"، رد عليه زوج أمه، "اذهب صلي، اذهب".. وتركهم وذهب.

ذهبا ليلا إلى الغيط ليلموا الغربان الميتة والفئران، قائلا (جائب) له، "لا تُموِّت كل الغربان".

"سوف يأتون ثانية".

"أقصد لا تُموِّتهم بتاتا".

"أم ماذا أفعل لهم؟".

بعصبية قال، "ألا ترى هذا؟! ها؟"، فحرك (إسماعيل) فمه، وأكمل (جائب)، "اتركهم يأكلون هذه الفئران".

"طب ما هم بذلك سيموتون أيضا".

"لا يهم، نكون ضربنا عصفورين بحجر .. وادينا نساعدهم أهو"، فنظر له، "انت لم تلبس القفازات؟!".

"لا يهم فأنا لا ألمسهم، وإذا لمستهم بالخطأ اغسل يدي قبل ما انام".

"قبل ما تنام؟! يا معفن .. وكل هذا تبقى جالس، وتتعامل هكذا بيدك هذه؟!".

"لا تقلق".

"لا تتعامل معي، سوف يأتيك مرض هكذا".

"لا لن يأتيني شيء، لا تقلق". ثم اخذه من رداءه وقال، "حينما تعيش وحيدا إن شاء الله، إذًا فلتفعل هذا القرف .. معنا لاء .. انت فاهم".

"فاهم"، ثم قال، "ولا اقول لك .. امش روح اقعد في بيت أبيك الله يرحمه، أليس لديك أرض من أفقر اراضي القرية، بل هى أفقرهم، لولا عم (أمين) الأمين الله يبارك له، كان زمان الأرض هذه تبورت .. امش.. شوف حالك بعيد .. ولا تتعامل مع (آمال) أبدا".

"ستغضب أمي.."، قاطعه (جائب)، "هششش .. لا تذكر أمك على لسانك مرة أخرى، ليس لك دخل بها"، ضايقت (إسماعيل) هذه الكلمة، ورمى ما كان بيده، وذهب في حزن وضيق وغضب .. بخطوات سريعة، لا يفكر، ولا يرى أمامه، لا يهم.

ذهب وهو يقطف في أي شيء أمامه مغاضبا، حتى وصل إلى بيت أبيه، الذي كان يتركه لأي شيء يدخله، فوجد فيه الحشرات، وبعض الفئران التي هربت فور دخوله، حاول أن يلم بعض ما يجب أن يُلم، ولكن لم يفعله بالكامل وتركه، وياما قال له الآخرون بعدم ترك منزله هكذا ويضع به الرش الطارد لهذه الأشياء، ولكنه لم يهتم.

جالس والحشرات تطير من فوقه ويهشها، فنرك المنزل وذهب إلى بيت أحدهم يتركه للغلة، وتسلل ثم نظر حوله .. ودخله، ونام على المحصول بعد أخذ منه، يأكل قليلا، أيقظه الصباح، فتركه وذهب، وعلى وجهه وملابسه المتسخة آثار المحصول، فقابله أحد الشباب والذي يدعى (أحمد)، "ما هذا يا (إسمااا) .. كنت نائم بالداخل؟!"، وهو يضحك، سخرية منه، لم يرد عليه (إسماعيل) وهو يهش الذباب ويقطب حاجبيه بسبب الشمس ونور الصباح، وهو يأكل في فمه بعض من هذه الغلة وينظر إلى بيت أبيه.

قابل عم (أمين) الأمين في طريقه، فلم ينظر له غير مبال، وهو لا يزال ينظر إلى بيته متجه إليه، قائلا له عم (أمين)، "هيا يا (إسماعيل) لنذهب إلى أرضك".

فنظر له (إسماعيل) بضيق وهو يخفض رقبته إليه ويضيق عينيه، ثم قال بعد ما رفع نفسه ويربت على كتف عم (أمين)، "خليك في حالك يا عم (أمين)".

"هذا لمصلحتك يا بني.."، قاطعه، "خليك في حالك يا عم (أمين)"، وهو يربت على كتفه في لامبالاة وهو لا ينظر إليه، وتركه وذهب إلى البيت، الذي وجد وهو في طريقه إليه تنادي عليه أمه، فنظر باتجاهها تلقائيا، فذهب إليها، فأمسكته من أذنه، "ألم أقل لك لا تغضب عمك (جائب)؟ ها؟".

"آه .. يا ماما .. هو الذي طردني أنا لم أفعل له شيئاً، حتى اسأليه".

ولا تزال ممسكة بأذنه، "سألته .. وهو قال أن لا يتعامل مع أي أحد في البيت، ولا حتى (آمال)، لماذا؟".

"أنا لا أعرف يا ماما، ولا أهتم، انا سأتزوج (لامي) هنا، وخلاص".

تركت أذنه وهي تشير بيديها مستغربة، "(لامي)؟! .. و(لامي) ستنظر لك على ماذا؟! على خيبتك؟! انظر إلى الأرض .. انظر"، وتشير إلى الأرض بيديها، كأنها تمسح عليها.

"طيب يا ماما يعني ماذا أفعل لك؟!".

امسكته ثانية من أذنه، "ما هو انا لو مخلفة راجل مثل باقي الرجال، كان زمان أرضنا هي أغنى الأراضي كما كانت، وليس عالا .."، حرك شفتيه، وهي تكمل، "لولا عم (أمين) الله يبارك له"، تركت أذنه وهي ترفع يديها ورأسها وبصرها بالدعاء، ثم أمسكت أذنه ثانية ورمتها وهى تقول، "كان زمانها بارت .. عمل ايه أبوك الله يرحمه على شان يخلف عيل مثلك .. لا تلعب مع الفئران ثانية يا معفن".

"أنا لا ألعب بهم .. أنا فقط لا ألبس هذه الأوقية الذي يقول عليها".

"معفن .. وتريد أن تمد يدك في طبق واحد معنا .. إياك، إياك أشوفك تتعامل مع حد فينا .. لك أطباقك وسأغرف لك الأكل فيهم .. وإذا ضيعتهم، وأنا عارفة انت تضيع الأشياء كيف، بهذا الاستهتار الذي بك، لن تفوق إلا بمصيبة"، وقد علا صوتها في آخر جملة وهى تشوح بيدها في وجهه، "خذ"، وطلعت مالا من معها ورزعته به في كفه، ثم قالت وهى تنفض ملابسه، "ايه دا؟! ايه دا أيضا؟!"، "ت"، متذمرا .. فقالت له، "اجلب هذا الجلباب أغسله لك"، فقلعه، فضربته على كتفه، "هنا؟! هنا أمام البنات؟!"، فحرك يده في لامبالاة، وخلع الصدرية وبقى بالكلسون، وأعطاها لها، قائلة، قبل أن تذهب، "شوف وراك إيه في الأرض، واقعد كل جبت لك الفطار، في الحجرة المعفنة بالداخل"، فحرك رأسه بكل برود، وهو يهرش في صدره وينظر اتجاه الشمس التي تعمي عينيه وهو مقطب الوجه منها، ثم حرك طاقيته التي نسى أن يعطيها لها، ولكنه تركها وذهب إلى بيته.

كشف الأكل، والباب مفتوح، والذباب يدخل منه على الأكل، الناس تمر عليه تراه وهو يأكل، مستغربين من الأمر، ومنهم من لا يهتم، ومنهم من يُحرج له.. ذهب وترك الأكل بعد أن انتهى، وهو يمسح بصدره، ناظرا إلى اللامكان، ثم جلس على باب البيت، وهو يرفع رجل على الأخرى متكئ، ويمسح عرقه بكم الكلسون، وجالس لا يفعل شيء وهو ينظر باتجاه الشمس إلى أي شيء، ثم فجأة رآها وهى تحمل البلاص، مع البنات، ويضحكن وهن يتغامزن على أي شيء، حتى وجدت (لامي)، (تائق) يقف مستند على شجرة وهو يبتسم ينظر ل(لامي)، التي تنظر إليه منخفضة الرأس، من بعيد، والبنات يخجلن ويسعدن عند رؤيته، بل يغبطن (لامي) عليه، والبعض يحقد ويسأل دائما في نفسه، "لماذا هي؟!"، والبعض يظن أن (لامي) من البنات الشاطرة كما يطلقن عليها السيدات الكبار، انها تستطيع أن تخطف أحد شباب القرية، ويقولن على الأخريات (خائبات) لا يستطيعون فعل شيء لأنفسهن.. وإذا سألتهم ستجد بينهم وبين أنفسهم أن أغلبيتهم لم يريدن أن يتزوجن أزواجهن أَبَدًا من البداية.. أشارت له بيدها، فتعثرت بفستانها، ووقعت ووقع منها البلاص، كان قريب منها (إسماعيل)، ولكنه ظل واقفا مكانه لم يتحرك، حتى جاء (تائق) راكضا، وأخذ بذراع (لامي)، "أنت جيدة؟ أنت على ما يرام؟ أنت بخير؟"، والبنات

يضحكن بخجل، جاء أخوها راكضا، "ايه.. ايه فلتنتبهي"، وهو يصيح بوجهها، وقد شعرت بحرج شديد كادت أن تبكي، وتغيرت نظرة البنات إليه، وإلى الموقف، في تعجب واستنكار شديد، وهم يغطين وجوههن، مقطبين الوجه، ناظرين إلى ما يحدث، دفعها (أحمد) من ذراعها بقوة، "يلا، يلا امشي"، وهي تمشي بخطوات سريعة، محرجة، و(إسماعيل) ينظر إليها، فتلاقت الأعين ببعضها، فقد كان (إسماعيل) ينظر إليها بإعجاب، وهى نظرت ببغض، وضيق، وهي تمشي بأسرع ما يكون وحولها البنات يمشون معها سريعا، مارين من أمام (إسماعيل)، ولكنهم لم يروه، ولم يلحظوه، ولم يهتموا له من الأساس، فهن يعرفن أن هذا بيته، وهي تتمنى أن لا تمر من أمامه أبدا، ولكن ليس بيدها حيلة، فأرضهم، مقابلة لأرضه، وبيته، مقابلا لبيوتهم، وهذا ما تكره في حياتها، وينغص، ويضيق عليها عيشتها، لا تعلم متى ستنتهي من هذا الكابوس، ولكن ما يهون عليها الأمر، وتنسى كل أيامها به، هو حبها ل(تائق) وحب (تائق) لها الذي لا تستطيع العيش إلا بحلاوته، فكأنها تعيش فقط لتلتقي ب(تائق).

ذهبت إلى بيتها، ولايزال (إسماعيل) واقف أمام بيتها، وهى تراه من بعيد، دخلت في غضب وقفلت الباب

بقوة، وجلست على المصطبة حزينة، تربع أيديها، مرت عليها أمها، "ما لك يا بنت؟! ماذا في؟!".

بغضب قالت، "ماما، احنا لن نذهب من هنا إذًا؟".

"ما لك يا فتاة؟!".

قامت وقفت، "أقول لحضرتك، الولد الذي اسمه (إسما) دا، ولا (إسماعيل).."، وهى تشير ناحيته

"ما له؟ عمل لك ايه؟".

"زهقني، في الرائحة والجيئة.."، وهى تفعل بيدها يمين وشمال، "ينظر إلي.."، تركتها أمها، ووضعت عليها العباءة ولفت نفسها سريعا بهذا السواد، وذهبت جريا، إلى (ثابرة) أم (إسماعيل)، وهي في الطريق فكرت أن تذهب إلى زوجها (جائب)، ولكن تركت الأمر وذهبت إلى أمه.. طرقت الباب بقوة.. استغربت وانتفضت لها (أم إسماعيل)، وأقسمت أنها ستري من يخبط الباب هكذا، لفت عليها عباءتها السوداء أيضا، وذهبت إلى الباب، فتحته بقوة، ونظرت بغضب، لم تلحق أن تتكلم، قائلة (أميلة) لها، "لمي ابنك، يا (ثابرة)، وخليه يحترم نفسه، بدل ما أخلي أخوها، وأبوها يوروه، أنا بكلمك أهو قبل ما أعمل حاجة".

"أعلى ما في خيلك أعمليه، بقلة الذوق التي تأتي تخبطين بها هذه".

"إذًا هكذا..".

"آه".

"ماشي".

"لا أركبي".. أغلقت الباب بقوة خلفها، مغاضبة.. وذهبت مغاضبة إلى (إسماعيل) بخطوات سريعة، ولكنها بطأتها، حتى لا تلاحظ هذه التي تدعى (أميلة) وتظن أنها تذهب لتأدبه.. فهي في الحقيقة ذاهبة لهذا.. ذهبت إليه، وقد أمسكته من أذنه في حركتها التلقائية، ولكنها أنزلت يدها سريعا، "أدخل، أدخل"، أدخلته وأقفلت الباب، "ما هذا؟ ما هذا؟"، وهي تشوط الأشياء برجليها، وتركلهم.. وقالت "انت لايزال الأكل مثل ما هو لم تحمله؟!".

"ما أنت لم تأتي لتلميه".

"ولماذا لم تخبرني؟"، وهي تركله هو الآخر أيضا برجله.. وهو واقف لا عليه، "أنت يا واد، أنت تريد هذه البنت المذمومة التي تدعى زفت الطين (لامي)؟ ما هو أنت تُلم فعلا..".

"آه ستزوجينها؟"، بفرح قال.

"أقعد أنت هكذا، فاتح فمك مثل الأحمق".. فكرت وهى تنظر ناحية الباب، تعلم أن ابنها لا يملك شيئا، ولكن عندا بهذه المرأة ستجوزنها ل(إسماعيل).. وفي كبرياء

لها، "وما له (إسماعيل)؟ هى لن تطول أحد ك(إسماعيل)، أباه الله يرحمه، أفضل رجال القرية.. التي كانت عينيها منه هذه الولية.. وهى تعلم من أباه جيدا"، ونظراتها احتدت تحد.. "ايه يا امي؟!"، افزعها (إسماعيل) من أفكارها، "تعالى يا ولد"، وأمسكته من يده، وهى تطلع به خارجا إلى القرية، وأخذت تزغرد، والكل تجمعن حولها، "ألف مبروك"، "ألف مبروك"، "من العروس؟"، وهن مستغربات من العروس التي توافق به.. ثم وقفت (ثابرة) على الصخرة، وقالت، "ابني (إسماعيل احمد ثأري).."، وهي تخبط على كتفه بقوة، "ابن أهم حد هنا في القرية، والكل يعرف، ويشهد على ذلك.. ابن (أحمد ثأري).. وزوج أمه المربي له (جائب تائب)، من أهم رجال القرية، لا ينكر أحد ذلك.. سيتزوج إن شاء الله تعالى ابنة المدعو (ثابت أمير).."، وزغردن النساء، وصفقن، "المدعوة (لامي ثابت أمير)"، "الف مبروك يا أم (إسماعيل)"، وهى تسلم عليهن، "هيا بنا، نذهب إلى بيتهم".. أخذتهم جميعا، وهن يزغردن، والرجال من خلفهم، واقفون بعيد.. وجاء (جائب) يجري، "ما الأمر يا أم (إسماعيل)".

"سنخطب، لا، بل سنزوج (إسماعيل) إن شاء الله"، وهى تخبط على كتفه.

"(إسماعيل)!"، ويعوج فمه استحقرا منه.

"هيا نريدك معنا.."، وهى تشده من يده بقوة في الخفاء، "تذكر كيف تزوجتني، وأنا ..".

"خلاص، خلاص، أنت كل يوم ستقعدين تقول لي".

"هيا"، وقد خبطن على أم (لامي).. فتحت في اندهاش شديد، اخذتها (ثابرة) بالحضن، وبالقبلات، "ألف مبروك يا أم (لامي)، ألف مبروك يا أم العروسة"، وادخلتها بالقوة إلى الداخل في استغراب شديد منها من الأمر، والتي وجدت أبو (لامي) يجلس ثاني رجل ورافع رجل يأكل بالملابس الداخلية، "ألف مبارك يا أبا (لامي)"، انقض عليه (جائب) يسلم عليه، ويرفعه، وهو مندهش من الأمر، ينظر إلى زوجته التي تحرك رأسها وترفع يدها، وقال (جائب)، "ألف مبارك مقدما، احنا أتينا إلى هنا لتقديم مهر لابنتك المصون، نص فدان أرض لها من أراضي (إسماعيل)"، صدمت (ثابرة)، ورفعت يدها وزغردت، وزغردنن معها باقي النساء، "إذًا أين عروستنا الجميلة؟"..

"ها هي"، وزغردت مرة أخرى وهى ذاهبة إليها، "ألف مبروك يا عروستنا"، وهى البنت لا تفهم أو لا تصدق، ثم جرت خارجا، وهي تصرخ وتقول، "لاء"، أمسكتها أمها، وأدخلتها، "ولكن.."، قاطعها زوجها، "ولكن ألف مبروك"، وهو يسلم على (جائب)"، وامها تربت عليها تهدئها، وتنظر في غيظ إلى (ثابرة)، التي تنظر في

شماتة وهي تغيظها، "روح هات الفستان" .. وهى تنظر لوالدة (لامي) وتبتسم، وهى تأكل العلكة.. ذهب (إسماعيل) جريا، ثم مشي.. فقابله (بلال) وهو يمشي بجانبه، "بسرعة قليلا يا (إسما)"، دائما يقول له هذا الاسم بسخرية، "لماذا؟".

"لماذا؟! انت لست حاسس أن الموضوع غريب ولازم تسرع فيه، قبل ما يحصل حاجة".

"لن يحدث شيء".. وفجأة نظر (بلال) الذي لمح (تائق)، يذهب إليهم في غضب شديد، وهو يكون أوسم في جديته.. "أوبا.. أقول لك، تعالى نمشي من اتجاه آخر أفضل"، وهو يمسكه من ذراعه.. فلت (إسماعيل) يده في خفة، وسرعة وقال، "لماذا؟".

"ما بك يا (إسماعيل)؟! أنت ذاهب لتخطب.."، ثم وقف (إسماعيل) في وجهه، "لأتزوج..".

"لا تستهن بالأمر يا (إسماعيل)، صدقني"، تركه (إسماعيل) وذهب في اتجاه المتجر، فذهب وراءه (بلال)، "هو اصلا ينتظرك هناك.. هو وهؤلاء"، فنظر له (إسماعيل)، "لا تقلق يا (بلال)"، ذهب (إسماعيل) في طريقه، ووقف (بلال) يشاهد، ذهب (إسماعيل) و(تائق) في طريقه، فأمسكه وطرحه العلقة، حتى إنه كان يريد أن يفعل به عاهة مستديمة، ولكنه ذهب إليهم

(بلال)، "خلاص يا جماعة، لأن هكذا أهله واهلها لن يسكتوا".. "وانت يا (إسماعيل) لا تقول لهم".

"سأق.."، كتم (بلال) فمه، وقال وهو مربك، "خلاص هو لن يقول شيء، لم الدور، وامش"، ثم صاح به، "يلا يا (تائق)"، ثم نظر فوجد عم (أمين) الأمين قادم ناحيتهم، "هيا يا (تائق) اخلص، امش، عم (أمين) قادم ناحيتنا"، فنظر (تائق) فوجده آتِيًا ناحيتهم، فلم الأولاد من حوله، وجروا بعيدا.. ذهب عم (أمين) ناحيتهم، فوجد (إسماعيل) على الأرض، وهو يرفعه، وينظر للأولاد .. ويقول ل(إسماعيل)، "لا تقل، يا (إسماعيل)"، (إسماعيل) مكشر بغضب وهو ينظر ناحيتهم، ويقول، "سأقول يا عم (أمين)، أترى ما فعلوه".

قال بلال، "ألم أقل لك لا تذهب باتجاههم؟!".

"هذه ستكون زوجتك يا (إسماعيل)".

"ولو .. سلم عليه أهل القرية".. وذهب (إسماعيل) راجعا إليهم، صرخ فيه (بلال) قائلا، "والفستان؟!".

"هاته لها أنت".

صاح عم (أمين) فيه من بعيد، "لا يجوز... يا (إسماعيل)!".. والآخر يبتعد بخطى سريعة الغضب.. "يا (إسما)!"، ينادي (بلال).. فأعطاه عم (أمين) في يده

المال، وقال له "معذرة يا بني، اذهب انت أجلب إليه أو إليها الفستان، وتعالى، معذرة"..

"لا عليك يا عم (امين)"، بلهجته المرحة التي لا تعرف الحزن.. "حسنا يا عم (أمين)، هاته!".. وهو يذهب متوجها إلى الخياطة وينظر يساره ليعدي الطريق.. راكضا إليها.

ذهب (إسماعيل) إلى أهله في بيت (ثابت) أبو (لامي).. فرأته أمه هكذا، شهقت، "من فعل بك هكذا؟".

"هذا الذي كان مع (لامي)، (تائق)"، وهو يصيح عند اسمه، خبت (لامي) وهي تكتم الضحكة، وخجلت أمها، وأمسكتها لتسألها، ولكن أباها ذهب ليصفع (إسماعيل)، ولكن حال (جائب) بينه وبينه، وقال أمام العالم كله، بصوته العالي، يصيح، "يا جماعة، نحن لن نزوج ابننا (إسماعيل) ابن الباشا أبدا لواحدة مثل هذه.."، وليزيد في الأمر أكثر، مع فرح وانبهار (ثابرة) به، وزاد إعجابها به أكثر، وعلمت أنها لا تتزوج أي أحد حقا، وهى تخبط على صدرها في فخر، وتتمنى لو أن (إسماعيل) يملك هذا حقا.. وهو يكمل، "تمشي مع هذا،

وتمشي مع هذا.."، فطرده أبوها خارجا، وأخذ (جائب) يصيح، "انظروا، ليداري على ابنته، الذي يظن العالم كله انها مصون.. وتتمحك امرأته فينا وتقول أن (إسماعيل).."، فأسكتته (ثابرة)، "خلاص يا أبا (آمال)، نحن لا نريد أن نتكلم عن أحد أكثر من هذا، إن الله حليم ستار، هذه بنت أيضا ونحن لا نريد أن نفضح أحد والعياذ بالله، رغم سمعتها مع (تائق)، الله أعلم ماذا فعلا أيضا، لندع الخلق للخالق، نحن لا نرضها لأحد والعياذ بالله، ربنا يسترها على وليانا".. ذهب الجميع.. وذهبت (ثابرة) في شماتة شديدة، ولكن (إسماعيل) لايزال متضايق من الأمر، فقد شعر أن (لامي) ضاعت منه للابد.. ذهب لأمه يترجاها أن تعيد (لامي) إلى الموضوع، صفعته أمه وقالت له، "امش يا ولد، امش شوف أرضك ومالك ومستقبلك، ثم بعد ذلك نرى هذه التي تدعى (لامي) وقرف، شوف لك حرف غيره، إن شاء الله حتى لو ستتزوج باقي السبعة وعشرون حرف، بس هذه لا".

"يا أمييي..".

"اسكت يا ولد، هيا اذهب إلى أرضك، ولا اجلب إليك أبوك (جائب)؟".

"أبوي توفى.. عقبى لمن باقي".

"طب امش يا ولد، بدل ما أفتح دماغك هنا.. امش"، وهى ترفع نعالها من رجليها، وتقذفه عليه.. مشى (إسماعيل) إلى دار والده، وجلس في أرضه يأكل القصب، وهو ينظر باتجاه بيت (لامي)، وقد عزم على الزواج منها، والانتقام من هذا الذي يدعى قرف (تائق).. والزرع أمامه يئن من الجوع والعطش، وبه ذبول أكثر من حياته.. والمحصول لم يعد يصلح حتى لذباب القرية، ولا لبق المحاصيل، ولا حتى لديدان الأرض التي تهرب من أرضه.. والحشائش أصبحت بدلها.. حتى أصبح غيط مليء بالحشرات السامة مثله.. وهو جالس على هذه الهضبة يأكل القصب وينظر إلى بيت (لامي) فقط.. حتى ظهر أمامه هذا الرجل من وقت المغرب الذي كان يجلسه تحت الشجرة يتلفت، فوقف (إسماعيل) فاره فمه، فنظر له الرجل.. فذهب (إسماعيل) إليه وقد وجده معه السكين.. ولكنه لم يبال.. ذهب إليه، فوضع الرجل السكين في جنبه يهدده، خاف (إسماعيل)، وهو يرفع يده ويبعد جسده، ولكن الرجل يمسكه من ظهره، قائلا، "أين ذلك الولد الذي قلت لي عليه؟".

سخر (إسماعيل)، "كل هذا ولم تجد؟!..".. غرس الرجل السكينة اكثر حتى شعر بها (إسماعيل)، نظر الرجل إليه نظرة شر عميقة وكأنه قاتل أكثر من بشر، بل أكثر من روح بغض عن النظر عن كونها بشر أم

لا، فخاف (إسماعيل) أكثر، وارتبك، "آآ.. أنا شاورت لك على بيته!".

"هذا لا يخرج من البيت إلا ومعه أحدهم أو لا يخرج بتاتا، أو يقابل فتاة".. برقت عين (إسماعيل) ووسعت، "حسنا، والفتاة؟".. لمعت عين الرجل شر، ونظر ل(إسماعيل)، ثم قال (إسماعيل)، "اسمع، أنا سأجلبه لك".

"وإذا لم تقدر؟"

"يوجد الفتاة"، قالوها معا.. قرر الرجل أن يأخذ (إسماعيل) في صفه، لكن لا، هو يعمل بمفرده، ولا يأمن لأحد غير نفسه، حتى نفسه أحياناً لا يأمنها.. ولكنه لا يستطيع التنصل منها لذلك يعتبرها شريك، ويقول دائما، "أنا أعمل مع ذاتي، وليس مع نفسي"، هذا شعاره كلما وجد أحدهم وظن أنه من الممكن إنشاء عصابته الخاصة، ولكنه يفكر نفسه بهذا الشعار دائما، حتى انه لا يعمل بنفسه التي هي نفسه.

ذهب إليه (إسماعيل) وهو ظالم لنفسه، فقال له وهو ينظر له بضيق، ويده مكسورة، معلقة في رقبته، وهو ينظر له ويرفع له حاجبه في جدية، وقد كان شكله أوسم بالجدية، التي تبرز ملامحه الجدية، الشديدة، والتي تبرز عظام الوجنتين، ونادرا ما يحدث هذا، فالأغلب كانت ملامحه حادة ببلادة التي ترتسم على وجهه تلقائيا، لأنه حقا كذلك، بعيونه الذابلتين، التائهتين، ووجهه العابس، المقطب طوال الوقت، ووجه المرتخي، لكن حين يكون جد، ونادرا ما يحدث، و يا ليتها جدية على شيء مهم ومفيد.. ذهب إليه وتحولت عيناه الذابلتان إلى هاتين الجاذبتين، بعينيه الواسعتين الحادتين اللذين مرسومتين بحدتهما، يضيئان لمعان عينيه العسليتين في الشمس، كأنهما شمسان صغيرتان آخريان، وفي الغروب كأنهن منبعان العسل.. ناظرا له بهذه النظرة، فضحك (تائق) نصف ضحكة شامتا وهو يشير لمن معه، و(بلال) ناظرا إليه، ثم قال، "ماذا يا (إسمااا)؟!!"، بسخريته المعتادة، فوضع (إسماعيل) يده على كتف (بلال) وحاشه من أمامه بدون أن ينظر إليه، فنظر (بلال) إلى هذه الحركة التي فعلها (إسماعيل العليل) وضربه لكمة في وجهه، سقط (إسماعيل) وهو يمسح الدم من على وجهه ولايزال بنظر إلى (تائق) ولم يهتم، ولكن الرجل الذي معه، قال له في خفض، "لقد ضربك، لقد لكمك هذا الولد!".

فقال له (إسماعيل)، "وماذا في هذا؟".

"وماذا في هذا؟!!.."، لم يرد أن يطول في الكلام، وتركه ينهي ما أتوا لأجله.. منتظر هذا الذي لا يشعر، بأن يفعل شيئا بعد أن خيب أمله ما، فنظر له (بلال) وشعر بالقوة وبثقة النفس أن لا يستطيع أي أحد أن يقف في طريقه، والآخر ينظر إلى (تائق)، ويقول، وهو يشير إليه بالقصب الذي في يديه، "اسمع يا (تائق).."، فضحك (بلال) والذي ظن أن رد فعله سيكون له تأثير أكبر من ذلك، وضحك معه (تائق) في استهزاء ومعه الباقية، ولكن فاجأهم (إسماعيل) بقوله الذي لم يقصد منه أن يبهتهم لاستهزاءهم، "هذه الفتاة هناك انتهى أمرها.."، فوقف (تائق) في غضب، و(إسماعيل) يكمل كلامه، "وأمرك معها، فالآن سيرتكم على كل لسان في القرية، ولا تستطيع أن تقرب منها بعد الآن، والكل يعرف من أنت.."، لم يفهم (تائق) آخر جملة... ناظرا إليه مستكبرا سؤاله عن قصده، فقال، "نعم، الكل يعرف من أنا، ومن أنت.."، باستهزاء، ضحك من حوله، "أنت لا تأتي في شيئا"، شعر (إسماعيل) أن هذا لن يجدي نفعا، ويريد شيئا أقوى بالفعل، فضربه وهو يتردد ضربة لم تكن بالقوية، ولا بالشديدة، ولكنها تكفي لغضبه، فهي أصبحت اشبه بالصفعة لتردده لهذا، ولكن انبسط بها (إسماعيل) لأن الصفعة تدل على الإهانة أكبر، وذهل من حوله.. ورأت الأمر (لامي) التي لم

تكن تعرف هذا الجانب من (إسماعيل) من قبل، والتي شعرت أن بالتأكيد يوجد شيئا خاطئ مع شعورها ورؤيتها لتردد (إسماعيل) في الضربة، ولكنها أبعدت هذا عنها وظنت انه ربما فعلها قاصدا، بالرغم من إنه يحتاج أكثر لبعض الشدة بعد.. ولكنها شعرت أن وجهه جذاب وهو في هذه الحالة مبتسمة، نظر إليها وعينيه هكذا مرسومتان بهذا القليل من الحزم، والذي ظهر عيناه الواسعتان برسمتيهما أكثر، والتي خجلت ووضعت الشال على حرف فمها، هكذا، وخجلت، وتركت المكان حتى لا يظن انها معجبة به أو شيء.. أخذ (تائق) الصفعة، وأمسك في جلباب (إسماعيل)، والذي وقف أمامه هذا الرجل ينظر نظرته الإجرامية التي يقلق أو يخاف منها أي شخص، فابتعد (تائق) خوفا، وهو ينظر إليه، فقال (إسماعيل)، "إذا أردت أن ترد هذا.."، ولأول مرة لم يستهن بالكلمة، فكبريائه تكلم هذه المرة، مع إنه كان يقول ما يهينه طوال حياته، ولكن هذه المرة شعر أنه لن يقول هذا على نفسه، وإنه أيضا مضطر أن يقول أن يردها له، ولكن لا بأس، "فلتقابلني وحدك إن كنت رجل بعد العصر.."، فهذه الرجل بكوعه، "بعد الظهر..".

فقال الرجل بنبرته الحادة الإجرامية التهديدية، "بعد منتصف الليل".

"وما لك انت؟ انت لن تأتي"، بقليل من الخوف وبعض الشجاعة المستمدة من كبريائه قالها.. فنظر له (الرجل) نظرة غضب، أرعبت كل الموجودين، وهو يحرك وجهه، كما يحرك الفهد مكشرا عن أنيابه، في وسط قلق وخوف، ثم فال أحدهم ببراءة، "من أنت؟ نحن لا نعرفك هنا؟".. ارتبك الرجل ولكنه عاد إلى طبيعته بسرعة أكبر من سرعة الصاروخ إذا طار في جاذبية أقل منه، فقال ناظرا إليه، والذي لم يقل ولكنه مسكه من رقبته، كاد أن يموت بها الولد.. وقد جاءت (تائق) فكرة في باله، ثم قال بكل ثقة، وهو يحرك رأسه، "حسن، فلنرى هذا".. ثم تركه الرجل وذهب بعد نظرة عداء مخيفة أخيرة.. "هيا بنا لنرى ما يجب فعله"، وهو يكلم (إسماعيل) ويضع أطراف أصابعه على ظهره، بعد أن أدارا ظهرهما لهم في طريقهما الغيط.

ذهب (تائق) في منتصف الليل.. انتظر قليلا، ثم أخذه الرجل و(إسماعيل) إلى مكان آخر، قائلا (تائق) وهو ينظر إليهم بخوف، ويذهب معهم مرغما، فقد هدده

الرجل بالسكين في جنبه، قائلا، "لماذا تأخذونني إلى حقول الذرة؟ هذا ليس اتفاقنا".

"هششش، امش"، وهو يشير إليه بظهر يده على خده الأيسر، وواضع السكينة بجانب وجهه الأيمن، والتي فور أن رأى هذا (إسماعيل) صرخ وقفز، فلحقه الرجل قبل كلامه، "ايه؟ اخرس"، فسكت (إسماعيل) خوفا على نفسه وذهب معهم.

هناك خَلَّعَ الرجل ل(تائق) ملابسه، فانتهز (إسماعيل) الفرصة وصوره، فحاش (تائق) يده بقوة، فلكمه الرجل، لكمة قوية، فسقط (تائق) وهو ينظر للرجل و(إسماعيل) في قهر، وانحنى له الرجل ووضع السكين على رقبته، وقال، "أين يا ولد الكيس الذي كان بداخل الشجرة؟".

"كيس! أي كيس؟! كيس ماذا؟".

"انطق بدل ما اصفي لك..".. وهو يشير بالسكين..

"خلاص، خلاص، الكيس.. الكيس أنا أعطته ل(إسماعيل)".. فنظر الرجل ل(إسماعيل).. فقال (إسماعيل) سريعا، مربكا، خائفا، "كذاب".

"قال يعني أنت الصادق!"، فنظر له، فقال، "اخلع ملابسك".

"كذاب والله، ليس معي أي أكياس"، وهو يمسح بيده على ملابسه.

"اخلع"، وهو يشير له بالسكين، خلع (إسماعيل) ملابسه مرغما، "أخلع".

"لماذا؟".

"اخلص"، وهو يهجم عليه بالسكين.

"خلاص طيب"، خلع ملابسه، وشد بعض من ورق الذرة.. "اترك ياض ورق الذرة هذا.. اترك".

"حاضر، حاضر"، ضحك (تائق) وهو ينظر إليه، "اخرس"، اكتمه الرجل بلطمة أخرى من ظهر يده، فبصق (تائق) الدم وهو ينظر له، فأمسكه الرجل من شعره الناعم يهزه، انطق يالا بدل ما يلاقيكم الناس هكذا، عاريين، ومقتولين بأبشع طريقة"، وهو يشير بحركة دائرية إلى أجسادهم من ناحية السرة، "طيب، طيب.. ما أنا قولت لك، أعطيته ل(اسماعيل)".

"كذاب"، ضرب الرجل (إسماعيل) طرحه أرضا بجانب (تائق).. وهو يشير إليهما بالسكين ذهابا وإيابا بينهما، "أنتم تلقفونني لبعضكم إذًا"، فأعجبت (تائق) الفكرة بالرغم من إنه لا يريد أن يتعاون مع (إسماعيل) هذا أبدا لكن لابد من ذلك، فيوما ما سيتكلمون كأن شيئا لم يحدث، ثم حرك (تائق) رأسه وهو مغمض العينين،

"لا أبدا، لن أسامحه أبدا".. فأمسك (تائق) يده، "(إسماعيل) هيا، يا (إسماعيل)"، وعَلاّ (تائق) صوته لعل أحدا من أصدقائه الذين كانوا مرشقين في المكان القديم قد تبعهم، أو احد في هذا المكان من الممكن أن يسمعه، كانت ردة فعل (إسماعيل) بطيئة، بل منعدمة، فوقف ولم يعرف ما عليه فعله منفتح اليدين يفرك أصابعه ببعضهما كالأطفال، منحني قليلا، فرمى الرجل (تائق) بذراعه التي كان يمسكها بدفعة بسيطة منه، وضربه بالسكين، ولكن زحف (تائق) على ظهره بعيدا، فعَلاّ (إسماعيل) صوته بعد أن جرى بعيدا، "الحقونا يا جماعة الحقونا"، مسك الرجل (تائق) وذبحه وجرى بعيدا، ذهب إليه (إسماعيل) جريا، وجده مغمى عليه على بطنه، قلبه (إسماعيل) وجده مذبوحا، رماه من الرعب والصدمة، وهو ينظر إليه فاتح فمه، غير مصدق عينيه، وينظر له (تائق) بعينين مغربتين غائرتين، وهو ينظر له، ثم ذهب يستنجد ويصيح بأحدهم، تذكر أنه لا يلبس شيئا رجع ثانية إلى الملابس، ولبس الكلسون، وترك باقيته، صدره عريانا، "لا يهم"، وترك الملابس على (تائق) الملقى على ظهره، فقط غطى نصفه، بدون أن يلبسه ملابسه.. جاء أحدهم و(إسماعيل) يصرخ ويستنجد رآه وصرخ، "ما هذا؟ ماذا فعلت؟".

"لم أفعل شيئاً".. مناديا الرجل على زملائه، "انظروا، انظروا، ماذا كنت تفعل لهذا الولد المسكين".

"لم أفعل شيئا".

"ولماذا أنتما عاريان؟..".

"لست أنا.. إنه"، ضربه الرجل لكمة قوية أطرحته أرضا، و(إسماعيل) يصرخ، "لست أنا، لست أنا".. مسكه الناس من حوله بعد أن قامت القرية جميعها من نومها، وجرى من كان مستيقظا، ذهب (جائب) راكضا، ليرى ما يحصل، "ماذا يا شباب؟"، وهو يمسح عينيه، بالكلسون.. فقال أحدهم صائحا في وجهه، "ابن امرأتك (إسماعيل) ذبح الولد".

"الولد؟!! أي ولد؟"، وهو ينظر، "(تائق)"، مغضوض في نفسه، شاهقا بدون صوت، وعيناه مفتوحتان على آخرهما، كأنه هو من ذبح وليس الولد، "لماذا يا (إسماعيل)؟ لماذا؟"، سائلا في نفسه، "الأمر وهذه الفتاة لا يستحقان"، ثم تذكر كيف ضربه (تائق)، فقال (جائب) مدافعا عنه، "هذه قضية رد شرف، ورد اعتبار، هذا الولد هجم عليه أولا يجب و ومجموعة من أصدقائه، ليس لنا بهم دخل، كل هذا لماذا؟ لأنه أراد أن يتزوج من فتاة أحلامه، الفتاة التي يحبها وتحبه"، وارتج صوته قليلا في "تحبه" لأنه يعلم تماما أنها ليست لا تحبه فقط، لا تطيقه ايضا، ولكن استعاده فورا وهو

يقول، "والكل يشهد على هذه الواقعة.."، قاطعه (إسماعيل)، "ولكني لم أقتله"، نهره عمه، "اسكت"

"أنا لم أفعل يا عم (جائب)، بل الرجل، الرجل الذي رآه معي اصدقاء (تائق)"، توقف العم عن الكلام وتفاجأ بكلام (إسماعيل)، ثم قال، "أسمعتم يا رجال؟ يقول أنه يوجد شهود على أنه ليس هو".. لم يرد (إسماعيل) أن يتكلم ويقول الشهود ليسوا في الواقعة وإنما قبلها حتى لا يبان أمامهم الشك، فهدأ الناس قليلا، وجاءت أمه تجري، وهي تزيح في الناس، "ابتعدوا، ابتعدوا.. (إسماعيل)"، وهي تصرخ باسمه، كأنه هو من مات وليس الولد، "ابني.. ماذا فعلوا لك هؤلاء القوم اللعناء؟"

"احترمي نفسك يا امرأة".

رد (جائب) عليه، "احترم أنت نفسك".

"ألا ترى ما تقول؟".

"اعذرها، امرأة وخائفة على ابنها"، نظرت إليها أم (تائق) باكية على ابنها، وهى تنظر إليها، فدفعتها، وصفعتها، صدمت (ثابرة) من الصفعة فاتحة فمها، فأمسكت في شعر أم (تائق)، والتي كانت أقوى منها، لا تستطيع ام (تائق) فعل شيء أمامها، وأخو (تائق) الصغير (أمير) يحاول الدفاع عن أمه لا يستطيع.

جالسة (آمال) بمفردها خائفة في المنزل، لا تعلم ماذا يحدث، ولكن تسمع صرخات أمها أحيانا، وصياح أبيها أحياناً أخرى، وصرخات أخيها أحيانا كثيرة، وتخاف في كل مرة تسمع بهم صرخاتهم، وكانت تريد تذهب لترى ماذا يحدث لعائلتها، ولكنها لا تستطيع فقد تعلمت من تجاربها الصغيرة السابقة أنها لو لم تسمع كلام والدتها ووالدها في يوم كانت ترى كيف تتأذى كثيرا وانهم على صواب، لا تعلم كيف انهم دائما على صواب هكذا، لذلك كلما ذهبت لترى حتى من الشباك، تتذكر ما مرت به وترجع، واضعة إصبعها في فمها تقطم أظافرها لا شعوريا حتى ظهر في وجهها الصغير هذه العظمة من الجز، وتذهب جيئة وذهابا، لا تعلم ما يجب فعله، منتظرة والدتها أو أي أحد من عائلتها بفارغ الصبر.

سمعت صفارات الشرطة أو الإسعاف لا تعلم، نظرت من الشباك من بعيد وهي تمد رقبتها من منتصف حجرتها، ثم ذهبت لتقفله سريعا، وبدأت تقطم أظافرها مجددا.

جاءت الشرطة، ونظروا إلى القتيل، ثم كبلوا (إسماعيل) بقوة من ذراعه خلف ظهره، "لست أنا، لست أنا، إنه هو (الرجل)"، ضربه أمين الشرطة بالعصا التي معه على رجله بقوة، ولكن لم يتحرك منها (إسماعيل) لدرجة انك تشعر انها لا شيء، رغم انك إذا نظرت لقوة الأمين بضربها تحسبه ينهار، ولكن لا شيء، أدخله عربة الشرطة (البوكس)، وهو لايزال يصرخ، "لست أنا، لست أنا.. يا ماما".

"لا تقلق يا حبيبي سأجلب لك أقوى محامي".

"يا ماما لست أنا، يا عم (جائب)".

"لا تقلق يا (إسماعيل)، لا تقلق، انت كنت تدافع عن شرفك".

"لست أنا يا عم (جائب)".. أخذته الشرطة، والاسعاف أخذت (تائق) القتيل، وأمه خلفه تصرخ، وتشق ملابسها، "يا لهوي"، والناس يهدئونها، والطفل (أمير) لا يعلم ماذا يجب أن يفعل، ممسك بأمه، يحتضنها وهو ممسك بردائها، "منك لله يا (إسماعيل)، منك لله يا (إسماعيل) الزفت"، رجعت لها أمه تمسك بها، "منك لله أنت، أنت وابنك الذي انتقم منه الله، ستلبسونها لابني البريء الذي لم يؤذي أحد، ابنك هو من أذاه، هو السبايا تبعه".

غضب العيال، وقال أحدهم، "انتبه لما تقوليه يا أم (إسما)"، قالها هكذا استفزازا لها، بأسلوب سوقي.

لم تنتبه له أم (إسماعيل) وهى تتشاجر مع أم (تائق) التي تتحسبن بها، والأخرى تشيح إليها بيدها، وتتحسبن بها هي وابنها المقتول، أخذها (جائب)، وهى لا تزال تشيح بيدها إليها وتتحسبن عليها وتدعي عليها، وبعد أن مشى بها (جائب) مسافة، شددت نفسها منه، "أوعى، لماذا تحوشني عنها هذه المرأة المولولة".

"خلاص، هيا بنا لنرى ما سنفعله ل(إسماعيل)".

"سنذهب للمحامي الآن طبعا".

دخلت على (آمال) التي كانت منتظرة أباها وأمها بفارغ الصبر، تدخل عليها أمها في شدة ولهفة، تبحث عن شيء لا تعلم ما هو، يقول لها زوجها، "هيا، هيا".. أخذت (بوك) كيس الفلوس وخرجت هى وزوجها، في وسط ارتباك (آمال) التي أخذت تسأل فور دخولهما عليها، "ماذا، ماذا يحدث؟".

وجاءها رد أمها الصارم، "ابقي هنا.."، وهي تبحث، "لا تفتحي لأحد"، ثم خافت عليها من أهل البلد، فأخذتها معها عند المحامي، بعد أن أوصدت الباب جيدا، وأغلقت جميع الشبابيك والمنافذ، وخرجت.. ذهبوا

جميعا ناحية المحامي، الذي كان يجتمع عنده أهل القرية كلهم، (ا. محمد مصطفى)، ووجد فجأة، هو كان يعرف، بل كان ينتظر، واخيرا جاله، كحارس المرمى الذي ينتظر الكرة، سمع اسم (إسماعيل) وأحدهم ينادي عليه، ولكنه لم يتدخل، رغم أن الصرخة كانت مدوية، لعله كان يتمنى، ورغم أن ضميره استيقظ، إلا انه نوّمه بانها ربما تكون مشاجرة لا أكثر، ورغم ضيقه لما حدث وحزنه الشديد على هذه الروح التي زهقت، والتي يكره هذا أشد الكره، لكن لابد من تنويم ضميره مرة أخرى وتخطي الأزمة، لا يمكن أن يترافع عن اثنين، وأقسم انه سيسجن (إسماعيل) أو سيعدمه، بالرغم من أن (تائق) كان يقول، "هيا يا (إسماعيل)، هيا"، وهذا مناف تماما على القضية والحادثة، كيف يقول القتيل للقاتل، "هيا"، إلا إذا كانوا يهاجمون ثالثا أو رابعاً أو أكثر، لا أعلم، حتى أن الصوت بدا كذلك، بل كان كذلك فهو يعلم، انها لم تكن صرخة استنجاد، بل وكأنهم يفعلون شيئا مهما وسريعا ك(الهجوم)، ولكن لشعوره بالذنب لانه لم يهتم للوضع، والموضوع، شعر إنه سيجلب حق (تائق)، لكن يريد أولا أن يعلم الحقيقة، "ماذا حدث يا أمي، تفضلي".

وهى تحكي وبكاءة، منهارة، ثم جلس إحدى الشهود الذين جاءوا لنجدة (إسماعيل)، "أنا سمعت أحدهم يصرخ ويقول، (الحقونا، الحقونا)، جئت على صوت

الصراخ.."، والكل واقفون حوله يستمعون، وهنا تأكد أن (إسماعيل) ليس القاتل، فقال له، "وماذا حدث بعد ذلك؟".

"ذهبت حضرتك إلى مكان النجدة لأجد (إسماعيل) واقف ونصفه الأعلى عاري."، وهو يشير إلى نفسه، "والآخر لابس الكلسون، والآخر ملقى عليه ملابس وعيونه مفتحة على وسعها، ورقبته مجزية يا سعادة الباشا"، وهنا صرخت أمه باكية وابنها يربت على كتفها ويضع يده حولها ويقرب وجهه من وجهها، وهى تربت على يده، وجاء أخوالها، وأعمامها، وأعمام الأولاد وأخوالهم يجرون، ثم قال المحامي، "سنرى هذه القضية يا أمي لا تقلقي"، هنا دخلت (ثابرة) و(جائب) معها، وقالت، "ولك عين يا امرأة تدخلي هنا لتأخذي المحامي قبلي"، وهي تمسك في ردائها والجميع يسلكونها من بعضهم، ثم نظرت للمحامي وقالت، "خليها تنفعك، سأجلب أكبر محامي فيك يا بلد، لن تصمد أمامه دقيقة واحدة.. ابني بريء، بريء ولم يقتل أحد، بل ويشهد له كل رجال القرية وكل نساءها وكل أهلها، وابنك هو من اعتدى عليه أولا وبه شهود أمام الجميع، والآن ابنك يُقتل وتلبسيها لابني؟!".

فقال أحدهم، "وابنك كان هناك ماذا يفعل؟".

"بالتأكيد كان ينقذه أصل ابني طيب".

"ولماذا هو.."، قاطعه (ا. محمد)، "طب يا حاجة تفضلي".

"حاجة! لماذا تراني أعرج مثل امك؟".. فعَلاّ صوته، "طب ،هيا يا حاجة من هنا"، نظرت له ثم نفثت في غضب كاد أن يخرج منها نارا ثم خرجت.. قائلة بغضب عارم، "هيا، هيا نذهب عند (أحمد أمين) المحامي ابن عم (أمين) أو هذا لا، سيقول لك لا اترافع عن قتلة مجرمين والأشياء هذه الذي يحفظها إليه أبوه العقيم".. "هيا، هيا"، فشدها من يدها (جائب)، ثم ذهب بها إلى ابن عم (أمين) المحامي، "هيا"، ذهبوا معا، ثم قال (جائب)، قال (أحمد أمين) مقاطعا، "هيا، تفضلوا"، وهو يشير إليهم للجلوس، وجدت (ثابرة) الأمر مغايرا تماما عما دار في بالها، ثم قال الشاب العشريني الصغير، "تفضلي يا خالة أم (إسماعيل)"، وهو جالس خلف مكتبه الكبير الواسع الضخم وينحني إليهم ليقترب منهم تواضعا منه لحرجه من مكتبه الضخم، وهذا يعطي انطباعا له بانعدام الثقة بالنفس، قالت وهي جالسة أمامه، وهو (جائب) يجلس مقابلها، واسندت (آمال) بين رجليها وهي تمسكها من خصرها مشبكة أيديها ببعضهما، وهذه المسكة تضايق (آمال) التي تتحرك في عدم راحة، والأم ممسكة بها غير منتبهة إلا في الكلام، "والله يا بني اتهموا ابني ظلم".

"اعلم يا خالة (أم إسماعيل)".

"صدقني يا بني.."، خرجت (آمال) من تحت ذراع أمها لتفك هذا التشبيك عنها وهي تزجرن، أخذها والدها وقد كان أحن عليها في مسكته وهو يضع يده فقط على خصرها ويسندها على رجله أكثر بحكم وسع الجلباب الذي هو أوسع من جلباب أمها، "أعلم يا حاج.. يا خالة، أعلم"، وثم وبعد انتهوا وقد أذنت صلاة الفجر عليهم، واستأذنهم أن يذهبوا إلى البيت الآن، وهو سيصلي هو واستاذ (جائب) وغدا الساعة التاسعة إن شاء الله سيذهبون إلى قسم الشرطة لنرى الأمر.. "حسنا يا بني، مع السلامة".

"مع السلامة يا أمي". وذهب معهم عم (أمين) ليصلي، وكانت صلاة فجر غريبة وحزينة وبها ضيق شديد على الكل، والحزن يملأ المكان... وأم (تائق) لا تستطيع التوقف عن البكاء.

جاء اليوم التالي في المحكمة وقد حكمت المحكمة على (إسماعيل أحمد محمد ثأري) بالسجن المشدد ٤٠ يوم

لعدم كفاية الأدلة ولتضارب أقوال الشهود، ولكن لإهماله للأمر وعدم الأخذ بالوقائع الكافية لمنع ما حدث.. شهدت المحكمة ساعتها نوع من الهرج والمرج تنادي الأم، "ظلم، ظلم ابني مظلوم، ابني لم يقتل أحدا، بل كان ينادي للمساعدة".

والأخرى تنادي، "حسبنا الله ونعم الوكيل، لك الله يا بني، قادر على أخذ حقك".

"حسبي الله ونعم والوكيل فيك أنت"، ترد عليها أم (إسماعيل).. ذهبا إلى المحكمة لتقصي الحقائق، ولكنها لم تعدل شيئا، وذهبا كُلًّا إلى بيته.. وذهبت (ثابرة) تنادي في أهل القرية ،"اسمعوا، اسمعوا يا اهل القرية، أنا ابني بريء وأي كلمة أو أي رجل يحسب نفسه رجل يتكلم عن ابني نص كلمة وأنا سأريه مقامه"، وهي تخلع نعالها وتلوح به، ثم ذهب الناس من أمامها وذهبت هي، وهي ترتدي نعالها وتنظر في غضب وجبروت، ثم ذهبت مع زوجها، ومن وراءهم ابنتهم التي كانت تخاف منها، ترتعب، ولكنها كانت تراها أقل هدوء عنها عن البيت.. فذهبت إلى أرض زوجها الراحل وبدأت تعزق به، وقالت بحنان رهيب قليلا ما يليق عليها، "انظر يا (جائب) كيف الأرض، يجب أن تعمل معي بها أو تترك أحد العمال فيها"، فحرك (جائب) فمه، "حاضر"، ولكنها لا تحب ذلك لأنها زوجته ومن حقها عليه

خدمتها كما تخدمه هي ويستفيد منها شرعا خُلُقا، ولكنها دائما ما تقرر أن تطلب بهذه الطريقة، عن طريقة أخذ الحق أو الطلب العام أو الأمر، وقد كان هذا منذ زواجها الأول، الذي كان شديدا متحكما عليها، ورأت أن هذا من الحكمة مجاراة التيار.. ثم ذهبت إلى بيت (تائبة) لا تدري لم تذهب إليها دائما، رغم نقلها للكلام، لكن لا بأس فهذا يجعلها أكثر حكمة في الحكي والدردشة، وكم قالت انها لن تذهب إليها ثانية أبدا، لكنها ليست (تائبة) مثلها بالضبط وهي تضحك على نفسها، فقعدتها مسلية يجعل جميع من في القرية يجلس عندها رغم معرفتهم بنميمتها، ثم يصيحون كافرين، كاذبون، ثم يرجعن ليجلسن معها ثانية، وهي تضحك عليهم وعلى هرائهن، وتعلم تماما أن (أميلة) أم (تائق) ستجلس معها، لا أحد يقاومها، "لا أحد يقاوم الذنب".

ذهبت ووجدت النساء كلهن يزغرن إليها لا يريدون رؤية وجهها، قائلة، "ما لكم يا نساء المسلمين"، وهى تضحك ضحكتها الرقيعة التي يسمعها أي أحد، لا يريدون أن ينظروا إليها، قامت الست (تائبة) من

وسطهن عباءتها، "أهلا وسهلا، اهلا وسهلا يا ست (ثابرة)، يا (أم إسماعيل) يا غالية".

"أهلا يا ست (تائبة)"، وهى تقبلها وتنظر للسيدات والنساء الموجودات، جاءت إحداهن بصينية الطعام والغداء، "أهلا يا (فاطمة)".

"أهلا يا ست (ثابرة)، يا (أم إسماعيل)"، وهى مبتسمة وتمد لها يدها بعد أن مسحتها في لباسها، "أهلا يا ختي".

سألت (تائبة)، "أمال (إسماعيل) عامل ايه يا ختي؟ طمئنيني".

فقالت ضاحكة، "على طول هكذا؟!"، وبدأت تضحك ضحكتها الرقيعة ثانية وهي تتمايل بسخرية، وضحكن معها بعض النساء وابتسمن البعض الآخر، جاءت (أميلة) بعد أن سندتها صديقتها وجارتها (أم محمد)، نظرت إليها (ثابرة) وقد تغيرت نظرتها وهي تمضغ ما في فمها، قامت إليها النساء يسندونها، وقامت (أم لامي)، و(تائبة) إليها يسندونها، وقد فعلت (أم إسماعيل)، هذا الصوت بجانب شفتيها وهى تضع يدا فوق يد، "ما هذا؟!! أليس يوجد عزاء؟!".

"عندما يعدم ابنك".

"إن شاء الله ابنك الثاني"، "اهدئي، اهدئي، يا (أم إسماعيل)".. "ألم تسمعيها يا (أم عبد البصير)؟!"..

"خلاص، خلاص، اهدئي".

"إن شاء الله أنت وعيالك"، وقمن أمسكن في شعر بعض، حجزتهم النسوة، وسمعهم الرجال من الخارج، دخل رجل منهم بحجة أنه يحجز بينهم، وأخذ يضع يده عليهم، فدخل (جائب) عندما علم بالأمر، وشدها من بينهم ولطشها بظهر يده، نظرت إليه بكره وانتقام أشداء وهي تمسك وجهها، ثم ذهبت، وقام هو وأخرج الرجل، وقال، "كل مرة تذهب إلى بيتها، ومن أعرف انها دخلت عند هذه المرة سأقطع خبرها، هيا"، ذهبت النساء يجرين خائفات، ثم ذهب الرجل، وقد دفعه (جائب)، الذي لم يستطع أن يفعل شيء أمامه، كما يقولون "على رأسه بطحة"، ثم أقفل (جائب) الباب بقوة، رزعه لدرجة من في القرية جميعهم سمعوا ما حدث للباب، كسر الباب قليلا ولم يعد يقفل، حتى جاء النجار (أحمد) وأصلحه، وقال لها، "مرة أخرى وسيحتاج باب آخر".. هزت (تائبة) رأسها، وأعطته أجرته أخر مال كان معها، ورغم انها حاولت أن تتوب عن هذا كثيرا إلا انها لم تفلح، فيغريها جلسة النساء وحكاويهن، وما جعلهم يجتمعن عندها هكذا حين أصدرت كلاما عن أخرى وخرجت الأخرى لتلومها وتتشاجر معها، فقالت، "إذًا

اجلسي معنا، وستري أن الكلام ليس عليك"، وأصبحت كل أنثى تسمع ما بها وما تقول عنهم حتى أصبحت تجلس معهن حتى لا تسمع أحد يتكلم عليها، حتى أصبحت النسوة تجتمعن عندها في كل ليلة ينمن على خلق الله، وأصبح بيتها معروف ببيت النسوة المفتوح طوال الوقت، ولكن الليل أكثر، وكل واحدة ليست لديها منفعة تجري، تذهب تجلس معهن، وأصبحن الرجال ينظرن أحيانا عليهن، ويسمعن ضحكاتهن الرقيعة، وكثير من الأحيان منعن زوجاتهن أن يذهبن إليها، وكثيرا منهن تطلقن بسببها، حتى أصبح مكانها كأنه سري بعض الشيء فكن النساء يجتمعن عند إحداهن خوفا من أزواجهن، ثم يذهبن إليهن جماعة، منضمين إلى باقية النسوة التي في البلاد.. ثم قال (جائب) لها وكل أهل القرية يسمعونه يصرخ على امرأته، "إياك أن تذهبي إلى هناك مرة أخرى، ألم أمنعك من قبل؟! وإذا ذهبت إلى هناك كرة سأريك أمام كل أهل القرية، سأطلقك أمامهم أجمعين"، جرت على يده تقبلها وهى تبكي، "يدك يا سيد الناس"، فحاش يده ودفعها فوقعت على الأرض، ثم ذهب في سلام ولم يفعل لها شيئا قائلا لها، "مرة أخرى وسأطلقك".

"لا تغضب مني يا سيد الناس"، وهى تضع يدها، تخبط بها على صدرها، نظر إليها بغضب اكثر ثم رزع الباب بقوة سمعها أيضا أهل القرية اجمعين.

أقام عم (تائق) العزاء له بعد أن استلموا الجثة من المشرحة، وتبين أنه كان يقاوم ومن ذبحه كان أقوى منه جسمانيا وانه ذبحه من الخلف، ويبدو أن المجرم كان في يده السكين من البداية، لأن المقاومة كانت محاولته مسك السكين من يده اليمنى، ولكن (تائق) كان أيسر اليد، وهذا جعله يختل قليلا، ورغم انه كان قويا في مقاومته، ولكنه لم يكن متمكنا من قاتله بعد، مما أعطى قاتله الغلبة عليه، ويبدو انه دفعه بيده اليمنى ثم انقض عليه، كل هذا تم معرفته من طبيب الطب الشرعي، الطبيب، "احمد إبراهيم" الذي يهوى هذا النوع من العلوم، والذي كان يراه مثيرا للاهتمام لحل ما فيه من ألغاز، لدرجة انه يصبح متململ إذا لم يوجد جريمة قتل، فيساهم في حل القضايا مع الشرطة وهذا يكون أسعد أوقاته بعد عمله، لأن الجثة تكون (خام) كما يطلق عليها، أي أن لم يعثر أحد على حقيقة بعد، ويشعره ذلك بنشوة عجيبة، لذلك لم يتزوج، لشعوره أن لا أحد يضاهي شعوره بهذا، وسيظلم أحد معه أو سيكرهها بعد ذلك، بالرغم من احتياجه لأحد في حياته، ولكنه لا يجد،

فقد ترك بيت أهله لكبره في السن واحراجه من الجلوس معهم رغم حبه لذلك، فهو يحب الجو الأسري كثيرا، ولكن هذا لا يعطيه الخصوصية المطلوبة، لذلك هو يسعد بالوحدة أيضا.. شعر انه يجب عليه أن يذهب لأهل القتيل (تائق) حتى لا تقوم عداوة بينهم وبين أهل المتهم (إسماعيل) رغم انه كان معهم، ولكن ما رواه (إسماعيل) كان صحيح بغض النظر عن انه لم يشهد الجريمة، ولكنه صحيح بغض النظر عن (الكيس) أو ما فيه من مال والله اعلم.

ذهب الطبيب (أحمد) لهم وقد كان الحزن يرتسم ويطغى على الكل حتى على جو القرية، وتجد كأنهم خروا من حقبة أخرى، أو خرجوا بالزمن إلى هذا المكان، وهو يشعر بهذه الطاقة الغريبة الكئيبة الحزينة ويمشي مترددا يفكر طوال السير متجها إلى بيتهم، ويشعر.. "حسنا، خلاص انتهى، أنا هنا وسأحاول أن أتلطف بقدر الإمكان"، فهو يشعر بالكأبة التي تحيطه ولا يريد أن يذهب مترددا لهم في حرج شديد.. ذاهبا إليهم، "لو

سمحت أين بيت أم المرحوم (تائق)؟".. أشار إليه انه ثاني بيت على اليمين.. ذاهبا إليهم.. طرق الباب برفق، "السلام عليكم".

لا يعرفونه، "وعليكم السلام"، وهي تنظر وعليها علامات البكاء والقهر وبجانبها ابنة أختها، تربت عليها، قامت، وقفت، "أهلا وسهلا"، تفضل، كان الباب مفتوحا للمعزيين حتى بعد العزاء، مفتوحا من يوم الحادثة، "السلام عليكم يا (حاجة)"، رغم صغر سنها ولو انه لا يعلم ماذا يلقبها..

"وعليكم السلام يا أستاذ".

"أنا الطبيب (احمد إبراهيم)".

"أهلا وسهلا يا دكتور".

"أهلا بحضرتك.. البقاء لله والدوام".

"ونعم بالله، يا دكتور"، حرك رأسه في صمت شديد، ثم قال، "أنا الطبيب الشرعي الذي كنت أشرف على حالة ابنك الله يرحمه"..

حركت رأسها، "الله يرحمه يا دكتور"، وهي تضع راحة يديها اليمين على صدغها الأيمن، حرك الدكتور رأسه، ثم قال، "كيف حال العائلة الأخرى؟".

"أي عائلة يا دكتور؟! هل مات أحد ثاني؟".

"لا، لا، أنا أقصد عائلة (إسماعيل)".

"لا تخبرني عنهم، ولا تأتي لي بسيرة عنهم"، بغضب واشمئزاز وذعر، حرك رأسه ثم قال، "لا تقلقي فجيرانك الأوفياء ليس فيهم قاتل".

صرخت فيه وهى تقف له نصف وقفة وبدأت الدموع تتسرب إليها والحزن يزداد، "هو الذي جرجر ابني.."، وهى تجلس تبكي في انهيار، "هو الذي أجلبه للهلاك.. كل هذا بسبب هذه التي اسمها زفت (لامي)"، وهي تكلم نفسها، "قلت له انهي الموضوع معها هذا ليس من عاداتنا أخوها وأبوها سيهلكونك.. أهو الهلاك لم يأتي إلا من الكلب الآخر" وهى تنظر للطبيب في الجملة الأخيرة بغضب، "شكرا يا دكتور، لا نرى بك بأس، مع السلامة".

"لكن أنا أستطيع أن أعرف القاتل".

نظرت إليه بغضب أكثر، "وساكت"، وهي تمسك في رداءه وتصرخ، دخل عليها أخواتها، "ماذا؟!"، وأمسكوا في رداء الطبيب بدون حتى أن يعرفوا ماذا يحدث.. وهي تقول، "يقول انه يعرف القاتل".

في خوف وقلق، "لا، لا، أنا لم أقل ذلك..".

"لا، قلت ذلك"

"لا، قلت أستطيع، أستطيع.."، وهو يفعل بيديه للأمام تعبيرا عن الكلمة..

فقال أحد إخوانها، كان يكبرها بعام ويحبها جدا أكثر من باقية إخوانه هي وأولادها، "كيف يعني تستطيع، يعني تعرف من أم لا تعرف؟".

"من تشريح الجثة علمت أشياء ولكن أريد أن أعلم أكثر هذا فقط، ومن ضمن الذي علمته حتى لا تقوم عداوة بينكم وبين أهل المتهم فهو ليس القاتل".

"طب مع السلامة يا دكتور، ولا تأتي لهنا ثانية، فأختي ليست ناقصة، يكفي لحد ذلك"، ثم قالت له انتظر يا (إبراهيم).. أتستطيع حقا أن تمسك هذا المجرم؟".

"إن شاء الله يعني، كل شيء بتوفيق ربنا".

"ونعم بالله.. طيب، إذًا اجلب كل ما تريد، كل ما بجعبتك واعطيه حقه".

"إن شاء الله يا ماما".

"وبيتي مفتوح..".

"ما هذا؟!"، قال أخوها معترضا..

وهى تنظر إليه في بعض القلق، "وإخواني موجودين اي وقت اتصل بأخويا (إبراهيم)، وقل له أنك تريد أن تتحدث معنا أو تأتي إلى البيت لأجل القضية، وأنا سأكون معك في أي وقت إذا احتاجتني في شيء، ومعي أيضا إخواني الخمسة، إذا احتجت شيء، مال أو أي شيء".

"لا يا ماما أنا لا أحتاج إلا فقط لا تعاملن العائلة الأخرى بسوء، وأعلنوا للقرية ذلك، لأنه حرام ليس القاتل"..

غضبت أكثر، "لا تقول ليس القاتل هذه هنا، هو القاتل هو من أجلب بني لهم".

"القاتل واحد فقط يا أمي وليس (إسماعيل)، و(إسماعيل) نفسه لم يكن يعلم، بل وقد كان (تائق) يجمع أصدقاءه لهم".

"طب اذهب يا دكتور"، وهى تضرب كتفه بقوة تكاد تخلعه كتهديد، وإخوانها واقفون يشعرون بتهديدها له فهددوه هم أيضا بنظراتهم، بدأ يندم الدكتور على هذا الفعل، وكاد أن يقرر عدم فعله هذا مرة أخرى ولكنه صابر للأخر، "يلا، مع السلامة، اخرج"، وهى ترفع في حاجبيها، "وقلت لك أي شيء عدا ذلك لا تتحدث، مع السلامة".. وبعد أن خرج الطبيب مطرودا، قرر أن يذهب إلى الجانب الاخر من القرية والذي ليس بعيدا فهو جانب آخر من خلف مكان أهل (تائق) القتيل..
ذاهبا إليهم بكل ثقة هذه المرة، خطواته سريعة، ناظرا أمامه، لدرجة انه نسى ما كان يذهب إليه وبقى ماشيا أمامه، ثم أدرك فجأة انه مغفل وانه كان يجب أن يذهب لأهل (إسماعيل) المتهم، ولا يعرف أين هو، وشعر أن الناس كلهم ينظرون إليه يستغفلنه، وهم ليسوا كذلك، هم

فقط ينظرون إلى ردة فعله، الذي يحاول أن يداري بها غفلته وحماقته، ثم نظر خلفه لا يعلم لأين ولا أي شيء، محاولا معرفة أي شيء، ثم رجع أدراجه ثانية فهو تائه في هذه القرية، "أين أذهب، قال لي قرب بائع الفاكهة"، ظل ماشيا حتى رآه، "السلام عليكم يا حاج"، وهو يرفع يده.

"وعليكم السلام يا بني".

"اين بيت أم (إسماعيل) لو سمحت يا حاج".

"عندك هذا"، وهو يشير إلى يمينه..

"هذا؟".

"أجل يا بني"، وجده بيت متهالك يوضح الفرق الاجتماعي بينها وبين عائلة أم (تائق)، فبيتها ليس بالكبير وأرضها أيضا، ولكنه لم يكن يعلم أن لديها بيتا وأرض آخرين مشتركين بهما هي وابنها (إسماعيل) والتي ستكتبها له بعد مماتها، ولكنها تخاف الله في ذلك، فستطلب منه انه يشتري نصيبها منها حتى تستطيع أن تكتبها له، طرق البيت، "من؟"، وهى تفتح الباب، تنظر إليه في استغراب، "من؟".

"السلام عليكم يا ست أم (إسماعيل)".

"وعليكم السلام يا بني، نعم؟ تفضل".

"هل أستطيع؟..".

"لا أستطيع أن أدخلك فزوجي ليس موجودا، نعم؟ هل هناك شيء؟".

"حسنا، أنا الطبيب (احمد إبراهيم)..".

"أهلا وسهلا!"، خرجت (آمال) من تحت ذراعها تنظر إليه في تساؤل، ثم قال، "أنا الطبيب الشرعي لحالة (تائق) الله يرحمه.."، تداخل صوتها مع صوته في آخر كلمة، في دعاءه له بصياح شديد، "ما تتركونا وشأننا إذًا.. أنا ابني بريء لم يفعل شيئا، بل هذا الغادر الذي يدعى (تائق) من اعتدى عليه، ولا إنكم كنت تريدون ابني هو من يقتل؟!"، وأقفلت الباب، وهو لم يستطع أن يقول شيئا، ولكنه شعر من واجبه مخاطبتها لترفع رأسها في أهل القرية جميعهم، مخاطبا إليها من وراء الباب، "يا حاجة.. يا أم (إسماعيل).."، كانت تحضر الماء لتقذفه عليه ولكنها توقفت حينما سمعته وهو يقول، "أن ابنها برئ، وهو ويعلم ذلك، وذهب لإخبار أم (تائق) بذلك، ولكنها.."، وهنا فتحت أم (إسماعيل) الباب وشدته من يده أدخلته إلى بيتها، وتركت الباب على مصرعيه واجلست ابنتها على رجليها ليراهم الجميع.. الذين أبلغوا (جائب) بالأمر، جاء (جائب) يجري إليهم، وجدهم جالسين، رغم انه لم يحب الأمر لكنه لم يتكلم، لكنه شعر انه يجب أن يتكلم، فقال، "يا دكتور (أحمد) ثاني مرة لا تدخل حتى لو من شدك،

حتى لو البيت كل شدك إلى داخله حسنا، وأنت لك حساب معي بعدين"، وهو ينظر إليها بسوء، ثم قالت، "يقول أن ابني بريء.."

"وهل عندك شك؟!".

فردت عليه، "آآ.. لاء.."، ثم أخذته من يده فقطع الوصال (جائب) وضربها على وجهها، لم تبال حتى الآن مع نظراتها الحادة، "ماش، لما نشوف هذا"، ثم أخذت الدكتور من يده ثانية عند به، ولكن الدكتور سحب منها يده قبل أن يراهما (جائب)، الذي حمد الله تعالى انه لم يرهما، وقال، "قولي لي إلي أين وأنا سأذهب معك.. عيب أنا لست صغير على هذا، ولست ابنك لهذا، ليس بعيد أن أكون أكبرك"، نظرت إليه في غضب أكثر، "إذًا تعالى معي، وقل هذا الكلام هنا على هذه الصخرة المشرفة.."

"مشرفة؟!!".

"قل هذا الكلام عليها، وأعلن عن براءة ابني بكل شجاعة، وقل لهم ما قولته لي".

"حسنا، ولكن لا نريد أن ننسى أن ابنك من جرجره لهذا".

بغضب أكبر، عارم، وصارخ، "ابني كان يأخذ حقه، هو من بدأ"، والكل ينظر إليها، "لن ننتهي من هذا

إذًا؟!".. صامت الطبيب لا يستطيع أن يتكلم، ثم قال، "أنا سأقول ما لدي وهذه مشكلاتكم إذًا أنتم".

فقالت له، "نعم قل ما عندك وليس لديك دخل حضرتك بما سمعت".

"حسنا".. وقف على صخرة وقالت إمرأة (جائب)، "يا أهل البلد اسمعوا"، بعلو صوتها، ثم جاء (جائب) وقال، "هذا الطبيب الشرعي في قضية مقتل (تائق) الله يرحمه، وابن إمرأتي (إسماعيل) يقول انه بريء"..

"وما أعلمه هو؟".

فقال (جائب)، "وهو الطبيب الشرعي الذي شرح جثة (تائق) الله يرحمه"، ورغم أن هذه الجملة ثقيلة على أذان أهل القرية التي زادهم اشمئزازا وبغضا لهم، إلا أنه قال، "انه الطبيب (احمد إبراهيم).."، عرفه البعض لصيته وكم هو متفاني وجاد في عمله، وحياه البعض، "أهلا يا دكتور"، حرك الطبيب (أحمد) رأسه، ثم قال الرجل، "هذا الدكتور (أحمد) أشهر وأحسن دكتور عندنا في المنطقة، في الأقاليم، لا يوجد قضية قتل تخرج من تحت يده، أليس كذلك يا دكتور؟"، حرك الدكتور رأسه وهو يبتسم في حرج يريد أن ينهي هذا، "هذا الدكتور هو الأفضل.."

مقاطعا له، "شكرا، شكرا، أقدر هذا.."

مقاطعا له، "نحن نتشرف والله يا دكتور"، وهو يضع يده على صدره تعبيرا عن الإمتنان والفخر، حرك الدكتور رأسه شاكرا، ثم قال ناهيا ذلك، "اسمعوا أهل القرية من خلال تشريحي لجثة (تائق) رحمه الله تبين أنه ذبح من الخلف.."، وتعالت الاصوات والطقطقات، "لا إله إلا الله".. "الله يرحمه، يا حبيبي".. "لا حول ولا قوة إلا بالله".. ثم ذهب الدكتور (إبراهيم) إليهم ليقف في وسطهم، "انه تبين أن (إسماعيل) ليس القاتل".

فقاطعه أحد الأولاد، "ما احنا عارفين ان (إسماعيل) ليس القاتل، هذا ولد أحمق"، نزلت أمه من على صخرة تضرب الولد، "هذا أنت الأحمق، وأمك لم تربيك".

"واضح أن انت أقوى".. بأسلوب شوارعجي قبيح..

"وأقوى من أبوك"..

لا يريد أن يمد يده عليها، لأجل العادات والتقاليد التي تربوا عليها، "أبويا من يا مرة"، جاءه (جائب) صفعه صفعة خفيفة للإهانة، ثم قال، "اخرس يا ولد عيب هذه مثل أمك عيب"..

في صوت واحد هما الاثنين، "ألا تسمع تقول اقوى من ابوك؟!".. "أمه من التي أنا مثلها.."، اسكتها (جائب) بدفعها سريعا بقوة من ذراعها الغليظ الممتلئ، "هيا يا بابا اذهب من هنا"، (جائب) يقول للولد، ولكن الناس أوقفته، "ولكن ماذا إذًا؟ ماذا حدث؟"، والناس تسأله،

وبدأ يحكي، "هذا، هو جاء لنا ومعه شخص يبدو عليه مسجل خطر"، فقال أحدهم، "نعم انا رأيت ذلك الشخص واستغربته، وكان يمسك ابنك (إسماعيل)".

حتى "(محمد أبو العلا) ساعتها، (محمد).."

"نعم".. "نعم"، ردت عليه الأصوات، قال له، "أنا لم أراك في القرية من قبل، ونظر إليه الرجل نظرة عجيبة ظننته، ظنناه كلنا انه سيقتله، ساعتها اتفق معنا (تائق) الله يرحمه اننا سننتظره بعد منتصف الليل في المكان الذي يقول عليه، وكان واضح انه المتحكم ب(إسماعيل)، ولكنه يبدو انه هو و(إسماعيل) كانا متفقين على شيء.."، قاطعته (ثابرة)، "لا، أنا ابني (إسماعيل) لا يتفق مع غرباء في شيء"، قاطعها الآخرين في ضيق، "أكمل، أكمل"..

"بعد ذلك، أخذوه وذهبوا ناحية حقول الأرز والذرة والشعير".

قالت (ثابرة) وواحدة أخرى تظن أن لها سيطرة ما على القرية لجرأتها، "ولماذا لم تذهبوا معهم؟".. "ولم يذهب أحد وراءهم؟".

"هم كانوا يريدون (تائق) بمفرده، وهو اتفق معنا هكذا من خلفهم حتى نهين (إسماعيل) وهذا الرجل ثانية"، أمسكته أم (إسماعيل) من رداءه، "اه يا أوساخ، إكمن ابني طيب"، وصفعته، فابعد يدها في عنف وتشابك

معها والناس يهدئونها، وأمسكه (جائب) من رداءه، فأوقف الولد تشابكه رهبة من (جائب) الذي قال له، "أكمل"، والذي أعادت عليه المرأة السؤال مرة أخرى، "لم يذهب أحد وراءهم؟"

"(بلال)، ولكنه لم ير شيئا، غير أن هذا الرجل أمرهم الاثنين أن يخلعوا ملابسهم (تائق) أولا الذي صوره على هاتفه"، استنكر الناس هذا الفعل، واستقبحوه، "ثم (إسماعيل) وقال إنه رأى شجار، ورأى أحد يجري، ثم أحد آخر يجري في الاتجاه المقابل بعدها بدقيقتين أو أقل لا يعلم لكنه وقت قصير جدا، هذا الكلام قاله (بلال) في التحقيقات، وقلت أنا هذا كما أحكي لكم"، شعر الطبيب انه يجب أن يتكلم مع (بلال)، "وأين بيت بلال هذا؟".

"تعالى يا دكتور أوصلك إليه، لكنك لن تراه الآن، ستراه يعمل في الأرض".

فقال الدكتور ل(جائب)، "تعالى معي"، ثم سأل الولد، "وأين سأراه الآن؟".

قال كأن شيء بديهي، "في الغيط!".

"حسنا"، لم يحب الدكتور هذه اللهجة التي تبينه غبى، ولكن الولد لم يوضح أين هم ذاهبون، وحكى كل هذا!

ذهب إليه (بلال) الذي كان يعمل في الحقل، ونظر إليه، بصوته الناعم الطيب المرح المحب، "أهلا وسهلا"، وهو يمسح يده ليسلم على الطبيب، قائلا (أحمد)، "هذا الطبيب الذي ساعد في تشريح جثة (تائق) الله يرحمه"..

"أهلا وسهلا يا دكتور".

"أهلا وسهلا، لاء أنا الطبيب المختص على حالته"..
حرك (أحمد) رأسه، ثم قال، "كان يريد أن يتكلم معك قليلا، بعد أن أثبت براءة (إسماعيل) للناس".

"(إسماعيل) بريء ولكنه شارك.. فلذلك ليس بريء تماما.. (إسماعيل) يبدو أحمق ولكنه ليس كذلك تمام"، قائلا (بلال).

قال (أحمد)، "نحن نعلم ذلك، أحيانا يتغاضى عن أشياء لا يجب التغاضي عنها".

رد عليه (بلال)، "لا يجب التغاضي عن أي شيء عامة".

قال (أحمد)، "على العموم، سأقوم لأفعل لنا شيئا نشربه".

ضاحكا (بلال)، "تفعل؟! أم إنك ستعمل لنا عمل؟".

ضاحكا (أحمد)، "يمكن ذلك"، ضاحكا (بلال) بنبرته العالية، والدكتور مبتسم مع هذا الجو العصري الرائع، حول الطبلية، على الحصيرة، وهو يصب إليهم الشاي (بلال) قائلا، "هات لنا الفايش الذي بالداخل معك"، بصوت عالي حتى يسمعه..

"حسنا، حسنا"، ردا عليه نفس الصوت العالي..

قائلا الطبيب، "هنا أي أحد يدخل على أي أحد؟".

قائلا (بلال)، "نحن هنا أهل، لكن لا طبعا، ليس أي أحد يدخل على أي أحد هكذا، ولكننا أصدقاء".

"اه"، حرك الطبيب رأسه، "وهل (إسماعيل) كان يدخل هكذا؟".

"(إسماعيل) ليس له دخل بأحد ولا يهتم بأحد، غير حبيبته (لامي) أخت (أحمد) آخر، صاحبنا، وكثير من المشاكل حصلت بينهما لذلك، حصلت بين (أحمد) لوحده.."، هو يضحك، "رغم الإهانات التي يسبه به (أحمد)، لكن لا أعلم هذه المرة نقحت عليه كرامته فجأة، التي هي غير موجودة أصلا"، ضاحكا، ابتسم الطبيب لعدم حبه لهذا الكلام عليه، ولكن يبدو انه كذلك فعلا وانهم لا يهينونه ولا يفترون عليه أو شيء، بل هو كذلك مستهين.. قال الطبيب، "وهل هو من تشاجر مع (تائق) الله يرحمه؟".

"لا، فهي قصة هكذا، لكن لا نريد أن ندخل فيها، المهم، أن (تائق) هو من تشاجر معه الأول عندما ذهبت أمه (ثابرة) لخطبة أو لتزوج (لامي) إليه، قلت لك أنا على هذه القصة؟.."

"نعم.. إذًا فهو تشاجر معه لذلك؟"، حرك الطبيب رأسه..

"لا، أنا قلت لك انه كان يشاجر معه كثيرا، لكن ليس لهذا السبب، بل لأسباب أخرى، فهو كان يعلم أن (لامي) لن تنظر لواحد مثله، فهو يعلم انها تكرهه، بل تحبه هو فقط، وهو صراحة كان يحبها، لكنه كان مماطلا.."، ضاحكا، "هذه (لامي) فمن يحبونها واحد (مستهين)، والآخر (مماطل)"، ضاحكا أكثر، "حظها نحس.. لكن هى كانت تحبه، وحاولت الانتحار بعد الحادثة، إلى الآن يحبسونها والديها، ويظهر (أحمد) أخوها من حين إلى آخر هو وأخوه (أمين) الصغير".

"تسمون (أمين) كثيرا أنتم في هذه القرية ها؟".

مبتسما، "لا، فهو اسم خفيف على اللسان أي أحد ينطقه يسمونه".

"حسنا، ثم ماذا حدث؟".

"أخذه الباقيين.."، جاء (أحمد) بالمأكولات.. فسأله الطبيب، "وانت يا (أحمد) لم تلحظ شيئا؟".

"لا، ف(إسماعيل) هو (إسماعيل) لا يجد شيئا يعمله حتى انه عندما كان نائم على كومة القش، شاورت له ولم يرد علي أو رد، حتى لا أتذكر له هذا".. حرك الطبيب رأسه داعيا انه، "إذًا لم يكن له بيت؟".

"لا، له بيت، ولكن لا أعلم، لعل زوج أمه كان طاردته هذه الليلة، لا أعلم.. وبيته من أبيه كان يسكنه الحشرات والغربان، بيت معفن يعني، لكنه نام هنا".

"أو لعله كان يحرس شيئا؟".

"لا أعتقد".. فالتفت ل(بلال)، "وهذا الرجل الذي كان معه، الغريب؟ ..".

"نعم.."، ردا عليه (بلال)..

مكملا الطبيب، "ماذا كان يريد؟".

حرك (بلال) شفتيه لأسفل في لامبالاة، "كان يسألهم عن كيس".

"كيس؟!!".

"نعم، وهدد (تائق) الله يرحمه حتى ساعتها، وقال له انه سيصفي له.."، وضحك، بل انفجر من الضحك، فابتسم الطبيب، وضحك (أحمد)، ثم سكت لشعوره بالذنب لضحكه وقال، "ثم قال انه أعطى الكيس ل(إسماعيل) وهنا انقلب الرجل عليه".

"وهذا صاحبكم الثالث الذي قال له (من أنت أنا لم ارك في القرية من قبل؟)".

"(أبو العلا)، (محمد أبو العلا)؟"، رد (بلال).

"نعم، هو.. هو كان يعلم كل ما في القرية؟".

"(أبو العلا) أيضا يعلم ما في خارج القرية، هذا وأروب".

"ممم.. وهل نجده الآن؟".

"مم.. لا أعلم، فهو لا يجلس كثيرا، ويغيب كثيرا، أكثر.. لا أعلم.. لنذهب لنراه.. آ.. لكن أولا دعنا نجلس قليلا نأكل الشاي مع الفايش.. لا يجوز فحضرتك ضيفنا".

"لا، لا بأس .. لنذهب".

"حسنا، إذًا".

ذهبوا جميعا إلى (محمد أبو العلا)، وجدوه يسلم على هذا ويرفع يده على هذا، "حبيبي"، قائلا له، "أنه يريد منه شراء هذا الشيء".

ردا عليه، "من عنيا يا عم (أحمد).. فوجد (بلال) أمامه، "ايه يا (بيلو)؟.."، وهو ينظر للآخرين، ويسلم على (أحمد) بالأيد، "(أحمد، أبو حميد)"... ابتسم (بلال)، وهو يعرفه على الطبيب، "الطبيب الذي شرح جثة (تائق)"، لا يعلم لماذا قالها هكذا، ولكنه قالها، استنكر الطبيب قوله، ولكن لم يتأثر كثيرا، "أهلا يا دكتور".. وهو يسلم عليه بيده وكأنه رجل أعمال بطريقة دبلوماسية، "أهلا يا.. (محمد)"، نسى اسمه الآخر للحظة ولكنه تذكر أن اسمه (محمد)، وهو يبادله نفس طريقة السلام التي تجعل اي أحد مبتسما، ولكنه ابتسم لشعوره انه يسخر منه مبادلته نفس طريقة السلام مازحا.. فقط كان يملك الطبيب قليلا من حس الدعابة بداخله، ولكنه يحتاج لفرصة سواء من الأشخاص أو من الأشياء أو من المواقف لإخراجها.. فهو محرج معظم الوقت لتوحده في عمله.

ذهبوا جميعا وهم يتمشون، وقد كان (أبو العلا) يلوح للكل، قال الطبيب، "من هذا الرجل الذي قتل (تائق) يا (محمد)؟".

"لا أعلمه، ولكني قطرته من فور دخوله القرية.. علمت فورا .. وأعتقد أن الكل علم انه ليس منها.. لبسه غريب، وطريقته، وحتى ملامحه يوحي أنه ليس من هنا، ليس من الوجه القبلي بتاتا..".

"شكله قاهري يعني؟".

"مم.. شكله اسمر، لكن ليس سمارنا، يبدو انه من السويس، من غارب، من البحر الأحمر من هذه المناطق يعني".

"ممم.. طيب وما الذي أتى به ناحيتكم".

"أكيد هارب، انه شكله مجرم"، وهو يلعب في الخضرة أو يشد شيئا أو يضايق حيوانا ما، أو يهش شيء من الدواجن.. ويتكلم بعلم زايد وكأن الموضوع شيئا عاديا، حتى تحمس أكثر، وهو يلتفت إلى الطبيب (أحمد)، "لكن أنا لم أتركه، قطرته من فور دخوله.. وجدته يجلس على الشجرة التي نجلس عليها، وعندما جمعت الأصدقاء وجئنا نجلس عليها قبل صلاة المغرب، لم أجده .. كنت أريد أن أريهم إياه ونعمل له كمين نسأله فيه، كما نعمل لأي غريب يدخل القرية".

"ممم..".

"ظللنا جالسين حتى صلاة المغرب، وذهبنا إلى بيوتنا، فأهلنا معاودتنا على هذا، يا إما البيت يا إما المسجد، من

ونحن صغار، أنت تعلم لحديث رسول الله.."، "صلى الله عليه وسلم"، رد الطبيب، يكمل (أبو العلا)، "أن الشياطين تنتشر في هذا الوقت، وأمر صلى الله عليه وسلم بإدخال الصغار وقفل الشبابيك وإطفاء المصابيح، وهكذا.."

"وتغطية الإناء، نعم، نعم.."

"إلا (إسماعيل) رغم أن أحدهم مر عليه أعتقد انه كان ينصحه لذلك.. وأعتقد أن هذا الرجل إذًا شيطان من الشياطين"، ضاحكا، ثم قال، "أقصد (الغريب).. ولكن (إسماعيل) لا يهتم بشيء.. أعتقد هو الوحيد الذي لم يعلم أنه غريب"، ضاحكا..

ابتسم الطبيب ثم قال، "وهل تعتقد انه ابتعد عن هنا؟".

"لا، ما زلت أراه ..".. فأمسكه الطبيب من رداءه بغضب، و(بلال) و(أحمد) واقفين في ذهول، أهو لايزال موجود حولهم حقا؟! "ولم تبلغ يا بني آدم؟!"

فقال (أبو العلا)، في خوف، "أبلغ ماذا؟! انه من الممكن أن يقتلني.. وبعدين هو في الجوار سهل الشرطة تمسكه إذا مراقبين المكان جيدا ويبحثون عنه، فهو ليس صعب يعني، فأنا رأيته، وأراه.."، وفي لامبالاة، "اطمئن فهو لن يبحث حتى يعثر على ما يبحث عنه، يبدو انه كان يبحث عنه من فور دخوله القرية.. لا أعلم".

فقال (بلال)، "الكيس".

رد عليه (أبو العلا)، "بالضبط"، وهو يمد بها.. حرك الطبيب فمه، ولكنه فاجأه حينما قال، "وأعتقد أن (إسماعيل)، (إسمااا).."، يقولها ضاحكا باستهزاء بانه هذا (إسما) من فعل كل هذا، "له علاقة بالأمر، ب(الكيس)"، وهو يعمل علامة القوسين بأصابعه، في وسط ذهول الكل..

"لماذا؟!" سأل الدكتور..

"لانه كأنه يبدو عليه الريبة قليلا، وكأنه كان مداري شيئا".

"وأنت إذًا تجلس تراقب الناس، فاضي انت ليس وراءك شيء؟".

وهو ينظر بعيدا بعينيه البنيتين، في شكل جذاب منخفض الرأس رافع عينيه شيء بسيط لمحاشاة شعاع الشمس الذي يلمع عينيه، وهو يرفع حاجبيه في صورة سينمائية، من الممكن أن يُأخذ له صورة هكذا كنظرات (جيمس دين)، ثم قال ويحسس على معزة بيضاء تمشي بجانبه ناظرا أمامه ويتكلم بكل تواضع، "لا، ولكني أهوى هذا.. فنظرتي لناس تختلف عن نظرة أي شخص آخر".

"كيف؟".

"اسمع يا دكتور.."، وهو يلتفت بكامل جسده إليه.. انتبه الدكتور إليه في استغراب من قلبته المفاجأة، "أنت تريد الرجل على العين والرأس.. هو سيدخل القرية متخفيا الليلة ككل يوم يبحث عن هذا الكيس، فانه يبحث عنه في كل مكان حتى في المخابئ السرية.."

"توجد هنا مخابئ سرية؟".

على صوت (أبو العلا) وهو يقول، "وأحيانا في بيوت الآخرين ولكن في الصباح..".

"يأتي هنا في الصباح؟".

"في أي وقت يكون مستعدا فيه، ولكن فرصتك للإمساك به في الليل أقوى..".

"انا لا أريد الامساك به.."

"يا ليت أن تمسكوا به قبل أن يخرج (إسماعيل)، أهو كلها شهر ويخرج، وإلا ستجدونه الضحية القادمة، لأن يبدو أن هذا الرجل مجرم خطير.."، حرك الطبيب هنا رأسه، وهو يكمل (أبو العلا)، "لانه يبدو عليه انه فعل ذلك كثيرا، ولا يبدو عليه التأثر".. حرك الطبيب رأسه أيضا في ذلك، "وهل سلاح الجريمة.."

"معه"، ردا عليه قبل أن يكمل سؤاله.. حرك الطبيب رأسه، فقال (بلال)، "تعالى يا دكتور تغدا عندنا، معنا"، وهو يشير إليهم أجمعين بحركة يد دائرية، فقال (أبو

العلا)، "نعم تعالى معنا، فنحن نتجمع عند بيت (بلال) في الغيط"، فأحرج الدكتور، وهو يحرك نفسه، فقال له (بلال) ممسكا بذراعه اليمنى بود، "هيا يا دكتور، هيا، لا داعي للخجل.. وسنذهب معا الليلة لنرى هذا الرجل المجرم".

قال (أبو العلا) سريعا، "لا.."، نظر إليه (بلال).. وهو يكمل، "أنا سأريك مكانه وأنت يا دكتور عليك الباقي إذًا.. وكم ستكون محظوظ إذا دخل الليلة إلى القرية".

"ألم تقل انه يأتي كل ليلة؟"

"نعم لكن هل أحد ضامن...

"وهل أنت تبعته لحد مخبئه؟".

"أ...

"يعني أنت تعلم مخبئه؟"

"لا، ليس تم...

"إذًا فلتدلنا على مخبئه direct على طول وخلاص".

"إذا جاء الليلة سيكون أمامك أو إذا لم يحالفنا الحظ سأدلك على مخبئه، لانها منطقة خطر نوعا ما، يجب أن تكون عارفها جيدا، لا أعرف كيف يختبئ بها ابن اللئيمة؟!".

"ألم تقل انه يأتي إلى هنا كل ليلة؟".

"ثانية؟!"

"أنت لم تجب في المرة الأولى على فكرة".

"لا، أجبت".

ثم قال (بلال)، "هيا وبعد صلاة المغرب سنرى إن شاء الله ماذا نحن فاعلون".. ذهبوا جميعهم معا حتى يتغدوا في بيت (بلال) في الغيط والتي ذهبت أخته المتزوجة من أحد مالكي الغيطان في القرية أيضا لهم بالأكل، فهى تذهب لهم فقط بالأكل إذا كان فيه ضيوف.. ويكون أخوها موجودا.

ذهبوا جميعا ليروا الرجل الذي لم يسموه بعدا يجزمون أن (إسماعيل) حتى هو نفسه لا يعرف اسمه، ولا يعرفه إلا فور دخوله القرية فقط.. ذهبوا جميعا لكنهم لم يروه هذه المرة، لا يعلمون لماذا؟ أو أين هو.. قائلا الطبيب الذي أحس انه تأخر لكن لا على شيء، قائلا، "ها يا جماعة، ما أخباركم؟".. حرك (أبو العلا) فمه في حرج، ثم حرك كتفه لا يعلم.. ثم ذهبوا إلى مخبئه جميعا ليعرفوا الدكتور إياه.. ثم ذهبوا جميعا جازمين أنهم

سيذهبون لهذا المخبأ في الصباح الباكر، ثم ذهب كُلٌّ إلى مكانه.

ذهب الطبيب (أحمد ابراهيم) إلى بيته يفكر.. وفكر أن يذهب للمخبأ الآن ويصوره، ثم يذهب زيارة إلى (إسماعيل) ليريه الصورة ويتكلم معه قليلا، وقد شعر انه فعل شيء جيد حين أضاح براءته.

ثم ذهب متخفيا ملتحفا، يلبس السواد كالليل.. ذاهبا واحدة، واحدة، بخطوات بسيطة وسريعة في نفس الوقت، محاولا تفادي الصخور لئلا ينكسر كاحله وهو يحتاجه معه في هذه المهمة، صراحة يحتاج كل جسده وعقله وكيانه وحضوره في هذه المهمة، حتى جاءه أحد من ورائه، "أتريد شيئا يا أخ"، وفور أن رآه حتى اختل توازنه وكسر كل شيء فيه حتى حضوره وكيانه.. "آآآه".. وهو يسنده، ثم تركه مكانه بإشارة منه، "اتركني، سأقوم بمفردي"، "ما الذي آت بك هنا؟ في مكان كهذا؟ في ساعة كهذه؟".. وهو يستل السكين على رقبته، فور أن رآها الطبيب حتى فزع وتحرك بجسده ، حتى وقع ذراعه في فراغ بين الصخور ثانية حتى كسر كسر مضاعف، وخرجت العظمة منه وهو يصرخ، "خلاص، خلاص، سأتركك تذهب، لكن إذا لمحت

وجهك ثانية في أي مكان ستنتهي".. حرك رأسه المليء بعرق الخوف والألم، بل جسده بكامله، ذاهبا..
"واحترس، أنا لا أريد جثث اليوم".

"لا تريد جثث اليوم؟ أفوت عليك بكرة يعني! ما هذا الاستظراف".. ولم يكن يستظرف فهو ليس لديه هذا الحس ولا يستطيع أن يكون، لانه لا يهتم بأي مشاعر، ولا يهتم بأي شيء سوى نفسه حتى بدون مشاعرها، فهو لا يعلم عن المشاعر أي شيء، لا يعلم حتى ما هي.. مشاعر؟!!.. لم يسمع هذه الكلمة من قبل، رغم سماعه لكل الكلمات، لكن لا أحد يتحدث بها اطلاقا، ولا كلمة إحساس، غير ما يحسه ضحيته من ألم، هذا هو فقط الاحساس الذي يعلمه، وإحساس الحب الذي لا يعترف بوجوده، عندما رأى (شمس بنت الزنادي)، التي قتلها بعد ذلك، وهرب.. لا يهم، المهم انه لا يريد جثث اليوم.. وقتل.. لا يهم، لا يهم.. المهم انه لا يريد جثث اليوم.

ذهب به إلى الشرطة، قائلا، "أن الرجل المجهول كان يبحث عن كيس".

قالت الشرطة، "أنهم يعلمون من هو، ولكن لا يعلمون مكانه".. أخبرهم عن مكانه في الخريطة الكنتورية بالضبط، لا يعلم لماذا هذه المبالغة كان ممكن أن يصف لهم على أي خريطة وخلاص.. ذهبوا في مداهمة، ولكن لم يعثروا على أحد، فإن هذا الرجل لا يستهين بذرة شك، يكفي ما حدث له من تحت رأس كل هذا، كل مرة يلوم نفسه بوضع الكيس في الشجرة، ولكنه كان يضع الكيس في الشجرة، ونمل الشجرة نفسه لا يعلم أن بها كيس، بل أكياس.. ذهبوا معه لم يعثروا على شخص واحد يوحد ربنا يمشي في الطريق بتاتا.. ولا ليلا ولا نهارا، قلق الطبيب وبدأ يأكل أظافره في خوف، قال له صديقه الضابط (مدحت غنيم) وهو يضع يده على كتفه، "لا تقلق يا دكتور (أحمد)، كل شيء إن شاء الله سيكون على ما يرام".

"على ما يرام كيف إذًا وهذا.. هذا وضع السكين على رقبتي ساعتها".. وهو يضع يده على كتفه، فقد كان أطول وأعرض، رغم طول الطبيب (أحمد) وعرضه الكبير، ولكن كان هذا أعرض بشدة، ثم قال، "أليس أقوى منك؟"

"يعني قليلا.. رأيته كأنه يحمل شيئا أو كان يحمل شيئا"، هنا لمعت وبرقت عين الضابط (مدحت)، "لم لم تقل هذا في البلاغ؟!"

"قلت بالتأكيد.. كان يحمل شيئا، لم أره".

"إذًا واحدة، واحدة... كبيرا؟"

"في شوال".

"الشوال كان نصفه ممتلئ؟".

"لا.."

"هووف.. الحمد لله، إذًا ليست جثة .. ها أكمل".

"لا، جثة"، ثم جرى ناحية المخفر.. "الرجل كان يحمل جثة"، وهو يستند بكامل قواه على بنش القسم، ويكاد يلتقط نفسه من هول المفاجأة، رد عليه الضابط (علاء) بكل برود، "اهدأ، اهدأ فقط"، وهو يضم أصابع كفه اليمنى ويشير إليه بالهدوء.. ناظرا له الطبيب (أحمد) بكل تساؤل استغراب واستنكار، كأنه يقول، "ما هذا الذي تفعله؟!!"..

"انه الرجل هذا.."، وأراه صورته.. صدم من هول المفاجأة، "نعلمه جيدا.. ولكن ما باليد حيلة، ادينا نعمل الذي علينا.. وهه".

"كل هذا وما باليد حيلة؟!!.."، وهو يشير إلى القسم بيده.. "هو واحد!"

"لذلك الأمر أصعب من لو إذا كان كثر"، حرك الطبيب فمه في يأس، وهو يدب ورقة موضوعة على البنش، "حسنا، سأبذل ما بوسعي"

"انسى انتهى أمرك أو موضوعه".. صدم أكثر، بل خاف، "كيف يعني؟"

"هذا الرجل قتال قتلة، مجرم من الآخر.. لن يستطيع أن يهدأ حتى يجمع ما سرقه مرة أخرى.. فقد سرق محل مجوهرات ألماس.. ونعتقد.. بل نستنتج انه وزعهم على أكياس، منهم هذا الكيس الذي قتل فيه الولد او الغلام.."

"بل هو شاب"

"لن تفرق المهم، انه سيرجع للقرية مرة أخرى".

"هو بالفعل رجع للقرية مراراً وتكرارا".

"ولم نلاحظه!"

"أي نعم، لكن استطيع أن أفعل لكم تركيبة يشربها أهل القرية جميعهم، ومن لم ينم فأمسكوه".

"وإذا.."

"لا تقلق، فهو لن يتداخل مع أهل القرية أو يتعامل مع أحد منهم، وأنا أجزم انها الفرصة السانحة لأي مجرم أن يجد الكل نيام".. حرك الضابط (علاء) فمه مع رأسه غير مقتنع ولكنه لم يبين.. فقال الضابط (مدحت)، "أنا معه، سألتزم بهذه القضية".

"إذًا.."

"نعم، سأمسكها أنا"

"المقدم (جابر الوحش)؟"

"لا تقلق، سنتصرف معا"

"حسنا.."، وهو يحرك رأسه ويرفع يده بالقلم، وهو يكتب شيئا على محضر ما..

ذهب معه الضابط (مدحت) قائلا، "ماذا ستفعل يا دكتور (أحمد)؟"

"لا تقلق يا حضرة الضابط، فقط انتظر".. انتظر الضابط (مدحت) قليلا، ثم قال له الطبيب (أحمد)، "انظر"

"ما هذا؟"، وهو يمسكه منه في تعجب وإعجاب من هذه الزجاجة الصغيرة، التي توحي بسر كبير فيها مع انها عادية، ولكنه أشعره حينما كان يتابع الرسومات المتحركة مع أولاده، وكأن الزجاجة مثل الترياق، ينقصها فقط النجوم حولها وهذا الصوت السحري.. ثم

قال له الدكتور، "هذا هو المنوم.."، ثم فجأة جاءه فكرة عبقرية، لم يكن ينتبه لها من قبل، "ثانية واحدة، لم لا نسقيهم أجمعين بهذا المنوم ثم نبدأ نكشف الأمر، فنحن نعرف شكله ونعرف من هو"

"وستفعلها كيف هذه؟!"

"سأقول لك.. نضعها في خزان الماء، وفي البئر".

"هكذا سينامون لشهور عدة كل ما يشربون من هذه المياه".

"آه.."

ضاحكا الضابط، "أنت تريد أن تعمل فيها ك(أرض النفاق)"، ضحك أيضا معه الطبيب.. ثم فكر انه يجب أن يذهب الآن إلى الزيارة ل(إسماعيل)، "أمسك انت وتصرف.. كمية قليلة منها من الممكن أن تنيم جبل، براحتك انت إذًا، ها.. مع السلامة".

"إلى أين تذ.."

"أراك غدا أو الليلة، الله أعلم.. أراك لاحقا إن شاء الله.. مع السلامة"، وهو يذهب مسرعا..

ذهب إلى السجن، جالس أمامه (إسماعيل) ببلاهته التي تبان وتشمئز منها من قريب، لا يحلق ذقنه، ويظن أنه لا يغسل وجهه أيضا، "كيف حالك يا (إسماعيل)؟"

"الحمد لله يا دكتور، تفضل"

"انت تعرفني!"

"أكيد طبعا.. أنت الدكتور المشرف على حالة، جثة (تائق)، نعم؟"

"الله يرحمه".. هز (إسماعيل) رأسه، فهو لا يزال يكرهه، وتضايق أكثر عندما رأى الدكتور وأيضا ترحم عليه، "نعم؟"

"ألست أنا رأيت المجرم".. وسعت عيني (إسماعيل) والذي انبهر بجمالهما الطبيب، فقد أخذه جمال عينيه الجديدين.. "نعم"، رق صوته بعد أن غليظا يكره الكلام معه، ثم تذكر (الكيس)، فرجع بغضه له مرة أخرى، "اسمع يا ولد، قل لي أين ذلك (الكيس)".

"أهو لا يزال يبحث عنه؟!"، ضاحكا، "هذا أحمق بالفعل"، وبدأ يضحك ضحكته البلهاء هذه.. اشمئز الطبيب أكثر، "قل لي وإلا عدلت التقرير وجعلته انك من قرراه، أو أقل لك، سأجلبه لك يسألك هو عن كيسه، أو يصفي لك.."

"انتظر.. ما الذي قلته؟! كيف علمت بالأمر؟"

"أنت من حاكيته"

"لا، فلقد نسيت هذه الإساءة كأني لم أسمعها لبغضي لها، ومن إحراجي الشديد منها؟"

"إذًا من الشهود"، هنا هدأ (إسماعيل) قليلا، انه نسى أمر الشهود، "أنت.. أنا لم أقل أن (الكيس) معي.."

"أين خبئته؟"

"كيف تعرف أن (الكيس) معي؟"

"أنا لم أعرف، لكن أنت من أكدت لي الآن"، ضاحكا..

"ممم.. حسنا اجلبه لي".

"اه، حقا؟".

"اه، حقا".

"أنا لن اجلبه لك فحسب.. بل سأسجل اعترافك هذا".

"ثم؟".

"ثم سيتبين الأمر أنك شريك في الجريمة".

"ثم؟"، وهو ينظر إلى اللامبالاة.. فخبط الطبيب على البنش أمامه، فانتفض (إسماعيل) من أثر هذا، وأكمل الطبيب، وهو يجز على أسنانه، "ثم ستأخذ إعدام يا (إسماعيل) إن شاء الله".

"ثم؟"، ضاحكا.. ثم قال، "حسنا، حسنا.. انتظر.. لماذا لا تنتظر حتى أخرج كلها اسبوعين إن شاء الله".

قال الطبيب، "حسنا يا (إسماعيل)، لكن احترس فاقتراب موعد دخول هذا الرجل السجن معك اقترب، أو اقتراب خروجك له"..

"ثم؟".

"اخرس يا (إسماعيل)، اخرس"، ابتسم (إسماعيل)، وتركه الطبيب وذهب، وقد شعر أن ضغطه على.. "منك لله يا (إسماعيل) الكلب انت.. كلب ايه، فالكلب أحكم منك"، ذهب وتركه.. ورجع (إسماعيل) إلى زنزانته.. وقد رأت أمه الطبيب، فاستغربت وانزعجت، "أهلا يا دكتور، هل يوجد شيء، لا يسمح الله".

"لا، يا أم (إسماعيل)، كنت اطمئن عليه فقط، لا تقلقي فهو بخير".

"أنا أعلم أنه بخير.. شكرا يا دكتور"، وهي غير مقتنعة بالأمر، لكن زيارتها لابنها قد ولت، وانتهت، وستضطر أن تنتظره لأسبوعين، لتعرف ما الحكاية، ولكنها عزمت على انها يجب أن تفهم من الطبيب نفسه، ولكنها تأخرت في قرارها هذا، فلم تجده، لا تعلم كيف الرجال يختفين بهذه السرعة.

جاء (جائب) من الخارج إليها، "ماذا؟!!"

"الطبيب كان هنا"، وهي لاتزال تنظر ناحيته متمنية أن تراه ثانية لتسأله أكثر عن الأمر، نظر (جائب) خلفه

لعله يراه أو من تأثير الأم الذي تنظر في هذا الاتجاه، ذهبن إليها، "ماذا يا أم (إسماعيل)؟"

"لا شيء.. انتهيتم من زياراتكم؟"

"نعم"، "أجل"

"هيا بنا". ذهبوا كلهم أجمعين لا يعلمون ما في الأمر، ولكنهم ما بيدهم حيلة، سينتظرون الأيام ليروا.

ذهب الطبيب (أحمد) مع الضابط (مدحت)، ليتأكدوا بأن كل شيء تمام، متخفون مثل أهل، لم يرد أن يقل الطبيب أي شيء عن (الكيس) الذي مع (إسماعيل) حتى لا يتم فتح القضية مرة اخرى، والضابط (مدحت) صعب المرأس في هذه الحكاية.. كل حين والآخر ينظر إليه بجانب عينه، ثم نظر آخر ما زهق منه إليه بعينه، "ما بك يا دكتور؟ أوعى تكون حاطت لهم سم".. ضحك الطبيب بشدة، "لا، لا تقلق، سينامون فورا، ولكن لا أعلم لم أنا الذي أريد أن انام؟!"

"وأنا أيضا"، ضاحكين، في وسط هذا الظلام الدامس الذي يحيط بهم..

"ولكن أخبرني كيف أنمتهم؟"

"قلت لهم لقاح جديد يحب أن تناموا بعده جيدا، وبملابس الشرطة، مع بعض العساكر خلفي، وطاولة ليس لها أي ثلاثين لازمة.."، ضحك الطبيب.. يكمل الضابط، "مع تنظيم العساكر لهم، تأكدت تماما انهم كلهم من اخذوا اللقاح ماعدا من هو خارج القرية بالطبع".

"المنوم"، بلهجة تصحيح..

"نعم؟"

"المنوم، المنوم.. أنت قلت تأكدت تماما بأنهم اخذوا اللقاح"، وهو يضحك، "أوعى تكون اعطتهم لقاح حقيقي ونسيت المنوم"، ضاحكا.. ضحك معه الضابط وهم يقاومان النوم، "لا، لا تقلق"، ولكنهم يشعران ببعض البرودة التي توحي بالنوم أيضا، "هذا طلع أن النوم معدي"، ابتسم الطبيب فلم يعد له مقدرة على ضحك مرة أخرى، "ألم تكن لتعمل لنا لقاح نحن أيضا"..

"مصحي"، وهو يضحك بالكاد، ويستند بمزاح على كتف الضابط، الذي ابتسم بدون ضحك بدوره.. حتى سمعا شيئا، "واحنا سنقاتل كيف بهذا المنوم الذي في الجو!"..

ابتسم الطبيب، وقال له في بعض الغضب، "كفى كلاما عن النوم، إذًا وركز"، وهو يحاول، لا يستطيعون

المقاومة.. ولكن كانت قطة.. صدمتهم جعلتهم ينامان دون أن يشعروا.. استيقظا على شروق الشمس، "آه.. يا للهول"، وهو يهز صديقه بجانبه، "اصحا، اصحا .. استيقظ"، وهو ينظر ويقفل عين ويفتح الأخرى ويداري الشمس عن وجهه ويتوارى عن الأنظار لا يفهم وهو ينظر لصديقه، "ماذا حدث؟!"

"ماذا حدث! لقد نمنا، استيقظ، قوم"، وهو يفتش نفسه حتى لقى ورقة في جيبه، "لن أقتلكم الآن وانتم نائمون، فأنا أحب أن أرى ضحاياي"

"يا ابن الكلب"، وهو يسحق الورقة بين يديه ويتذكر كيف ذبح الطفل أو الشاب الصغير (تائق) من خلفه، "ابن الكلب تارك لي ورقة.."

"أعلم، أعلم.. تارك نفس الورقة.. اتركها، فهذا دليل على اعترافه.. اين هي؟"

"ها هي هناك"، وقد طارت الورقة قليلا، جرى وراها الطبيب، حتى اصطدم في أحد رجال القرية، رفع رأسه، "أسف"، وتركه، ولكنه كان (إبراهيم) خال (تائق) وعمه معه أيضا الحاج (أمين الغزالي)، ولم يلحق أن يرد عليه (إبراهيم) تصرفه حتى أدار لهما الطبيب (أحمد) ظهره إليهما مرة أخرى مفكرا انه قد يساعده في القبض على هذا المجرم، فالتفت له.. ففاجأه

(إبراهيم) بسؤاله قبل أن يسبقه بالسؤال، "ألم تجدوا المجرم بعد، أيها الطبيب؟"

"آآ.. في الواقع هو مجرم خطير.. (أبوزيد)! لو تعرفه"..

وقد تفاجأ فور سماعه وأوجس قليلا، "(أبوزيد) الذي قتل ابن أختي؟"

"نعم.. أتعرفه؟"، "بالتأكيد يعرفه"، قالها لنفسه عندما لاحظ اندهاشه، وسؤاله وكل حالاته وكأنه كان مع علاقه معه في شيء ما.. "كل هذا ولم تلاحظه؟!"..
فارتبك (إبراهيم) فهو لم يكن يريد أن يصدق انه هو الذي كان يتخايل به في القرية، كان يبعد هذا عن نفسه كلما لاحظه ولكن يكذبه لنفسه ليشعر بالأمان، "و(أبو زيد) سيقتل ابن اختي أنا لم؟"

"لا، هي جاءت في ابن اختك، لكن هو لم يكن له دخل أو علاقة به.. هو فقط.."، كان سيقل له عن الكيس والألماس، ولكن تراجع منتظرا (إسماعيل العليل) الذي لقبه به أفضل، ولو انه يشعر أن (إسماعيل) هذا لا يؤدي إلا للهلاك..

"هو فقط ماذا يا دكتور؟"

"هو فقط.. اسمع أنا أريد مساعدتك أنت وإخوتك وأي شخص تعرفه ولكن ليبقى الأمر سرا، حتى نستطيع إمساكه"

"إمساك من يا دكتور؟ (أبوزيد)؟!"

"أمال إمساك بطنك!"

"ههه.."، استهزاء، "عسل يا دكتور ولا تفعلها ثانية"، وهو يضع يده على كتفه ويميل إليه يحذره بقربه إليه، ابتسم الدكتور وهو يحرك رأسه بخفة ظل، ثم قال، "ألن تساعدنا؟"

"كيف يعني يا دكتور! سأجلبه لك مربط أنا والرجالة، لكن اعثروا عليه وبلغونا"، وهو يبتسم وتركه وذهب، ناظرا إليه الدكتور في صمت وضيق من استهزاءه به ورغم ذلك شعر أنه من الممكن أن يمسكوه حقا، "حسنا لنرى، لنذهب".. رجع إلى صديقه الذي كان ينظر لهذا الذي دار بينهم.. "اسمع، هؤلاء أهل (تائق) القتيل، قالوا لي إذا استطعنا العثور عليه سيجلبونه مربط"، نظر في اتجاههم، وهو يشعر باستحالة الأمر، ثم قال، "حسنا لنرى".

ذهبا إلى المقدم (جابر الوحش) ليروا التجديدات معه، فوجده علم مكانه، ولكنه غير مهتم بسبب تنقله الدائم.. فمعروف عن هذا المجرم أنه لا يبقى في مكان واحد لكل شيء أو أي شيء ولا يهتم لعائلته، فهو ليس له عائلة خاصة.. من كان يحبها قتلها وانتهى، وأصبح لا يهتم لغيرها، فأصبح حجر، وعمل سرقته هذه ليستقر في مكان ما، ولا يستطيع الخروج خارج مصر فهو مسجل خطر بالإضافة لهذه الجريمة، بل الجرائم التي فعلها، ظن انه لن يكشف في جريمته الأخيرة، ولكن ها هو بسبب جريمته لقتل الشاب (تائق) عرف كل شيء، لا يستطيع الهروب الآن، لكن لا يهم، المهم أن يعثر على الكيس أو على المدعو (إسماعيل) هذا. علم الطبيب أنه لن يذهب إلى أي مكان أو يهدأ حتى يعثر على هذا الكيس حتى لو اضطر إلى أن يقتل أهل القرية جميعهم، تفاجأ وقلق من إحساسه بهذا، فهذا المجرم... عامة المجرمين لا يحبون أن يحبطوا أو يشعروا بخيبة أمل ولذلك هم حجر بل ومن الممكن أن يكونوا أقسى، على الأقل للأسف الشديد من المرجح أن يقتل (إسماعيل) وهذا علمه تماما مائة بالمائة، قلق واتصل سريعا على الضابط (مدحت) وهو قلق للغاية..

"الو، أهلا يا (مدحت)"، بلهجة سريعة..

(مدحت) وهو لايزال يستيقظ من النوم حالا، وهو يدعج في عينه، وصوته به النوم، وكان بجانب امرأته، "أهلا يا (أحمد)؟! نعم؟"

"نحن يجب أن نمسك (أبوزيد) الآن"، قفل الضابط (مدحت) الخط، ونام مغشيا عليه فاره فمه، ولكن بعد عدة دقائق استيقظ مفزوعا، وقد تذكر أنه أقفل الخط في وجهه، فاتصل به ثانية، ولكنه لم يرد إلا في الرنات الأخيرة، "الو"

"نعم يا (مدحت)؟"

وصوته مليء بالنوم يقاومه، "أسف أقفلت الخط ولكن بدون قصد صدقني"، وهو ينام ثانية ولكن هذه المرة والخط مفتوح، وكأنه أغشى عليه ثانية، وهو لا يغشي عليه، وهو يغشى نوما عليه..

ويكمل الطبيب (أحمد)، "يعني هي أول مرة!"، ويبتسم، ويكمل، "ولكن لابد أن أمسكه قبل أن يخرج (إسماعيل).."، منتظر الرد، ثم نظر في الهاتف وهو يبعده عن أذنه في استغراب، فالخط مفتوح، "الو يا (مدحت)، يا (مدحت).. سمع (مدحت) الصوت ولكنه ولم يستطع المقاومة فغاب الصوت مرة أخرى إلى الصباح.. ولم يستطع الطبيب (أحمد) النوم ذاهبا إلى عمله في كسل ووخم كبير، وجد جثة أخرى أمامه، ومن الملاحظ انها تحتاج شغل كبير، هذا جعله يريد النوم

أكثر وهو يتثاءب.. فقرر أن ينام قليلا، نصف ساعة، ولكنه تجد انه نام لنصف الليل، "آه يا للهول"، وهو يقوم مفزوعا من نومه، وبدأ يعمل فورا ببقايا نومه التي على وجهه وجسده كأنه هو والميت واحد بفرق الشغل، ولأنه شعر بهذا التشبيه شعر أنه يجب أن يغتسل فورا، "آه، لا، لن اغتسل"، فأخافه هذا بسبب قرب شعوره أكثر من حالة الموتى، ثم ذهب ليتوضأ قبل أن يستثار من هذه الجثة التي يبدو خلفها لغز آخر، فقد كانت مفرومة! كما يطلق عليها من قسوتها، "ما هذا؟! من الذي فعل بك هذا؟ هذا الإنسان الذي لديه رحمة"، وهو يتفحص الجسد والجروح التي به، والذي وجدها أو ظنها انها لا تتناسب بالتأكيد مع أسلوب (أبوزيد).. ولكن جاءه هنا فكرة، "اللهم اضرب الظالمين بالظالمين واخرجنا منهم سالمين، اللهم امين يا رب العالمين"، وهو ينفض أصابعه ببعضهما كأنه أمسك بودرة، حركته العصبية المعتادة، فإنها تشعره بأنه منغمس، كالذي يشخبط ويلخبط في الكتاب أو الكشكول للإحساس بالاجتهاد، فهو يتمنى حقا سواء هو أو أي حد يريد الإحساس بالاجتهاد أن يصل إلى هذا الحد الذي ينفض له يده حقا من كثرة انغماسه وعمله أو يصل إلى هذا في الكتاب أو الكشكول الذي يكتب به، كالفنان أيضا حينما يريد أن يملأ اللوحة بالتفاصيل لإحساسه انه فعلا يحب ذلك ويريد أن يصل لهذه المرحلة فلا يفعلها إلا عمدا حتى

وإن لم تكن تحتاجها الرسمة إلى أن تكون كذلك.. ولكنه فكر في الأمر انه من الممكن أن يفقد روحا أخرى رغم أن الاثنين قاتلان، ولكنه لم يهتم وقال، "بالتأكيد هم يستطيعون المعاملة مع بعضهما البعض"، ولكن تغاضى عن الفكرة لعدم اقتناعه الكامل بها وإحساسه بالذنب انه ربما يكون سببا في قتل أحد، رغم أن الاثنين قاتلان، يرجع يقول لنفسه هكذا ثانية محتار، ولكنه في نفس الوقت خائف على (إسماعيل) الذي لم يقتل أحد، ولكنه ساعد في قتل صديقه أو ليس صديقه، لا فرق، ولكنه لم يعرف أن هذا سيحدث، ولكنه استهتر، وأخذ حقه على حسب ما رآه القاضي.. "آه"، لا يستطيع التفكير في الأمر رغم أن باله مشغول به، فهو لا يريد أي قتلى أبرياء ثانية أبدا، ويتمنى لو يستطيع أن يغير الكون ك (نيرين) ويجعل أي أحد كما هو بريء ويفعل الصالح بدون أن يعتدي على أي أحد بأي شيء، ف "إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ".

ذهبا كُلًّا في طريقه بعد انتهوا مما قيل، وتركا الأمر لله تعالى، ورغم ذلك لا يستطيع هو النوم، فقرر أن يذهب

إلى أمه ويحذرها من الأمر.. وقرر أن يعقد صفقة مع أهل القتيل بحماية (إسماعيل) وفي المقابل يمسك لهم القاتل الحقيقي.. لكن تراجع عن قراره هذا خوفا من أن يتملكهم غلهم اتجاهه، فلا ينبغي أبدا أن نؤمن أحد غاضب اتجاه أحد عليه، حتى وإن لم يكن هو، ولكن انتهى الأمر ولا يستطيعون نسيانه مهما كان وسيستغلهم الشيطان لهذا ويزيد الغل بهم ناحيته للأسف الشديد، فالأفضل أن يظنوا انهم ظالموه بدون التقرب منه، فهذا الظن سيضع الحاجز بينهم لعدم الاعتداء عليه، بالرغم من حقيقة الأمر، ولكن كرههم سيقلب الحقيقة لظن بالنسبة لهم.. لا بأس، ما دام هذا الظن سيعمل كحاجز للأبد، لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

في الصباح ذهب إليهم، قابلته (ثابرة) بوجه مقطب، فأصبحت تكره رؤيته، "أهلا يا دكتور"، وهي عاقدة ذراعيها أمام صدرها، "نعم؟"

وهو ارتبك من هذا الفعل، "أهلا يا أم (إسماعيل)، مبروك مقدما على خروج (إسماعيل)"

"شكرا.. تفضل.. أي خدمة؟"

"أنا فقط.. اا.. جاءني .."

"ما الذي جاءك يا دكتور، وأنت دكتور؟"، ساخرة ضاحكة ضحكة سخرية خفيفة، ابتسم فيها الطبيب، "أهلا.."، ضاحكا على الأمر، "اسمعي يا أم (إسماعيل)، يا (ثابرة).."، وهو يشير بيده بالثبات بقوة، ضاحكا أو كاد على قوله وسخريته من الأمر، ابتسمت هي بتحريك صدرها، ناظرة بعيدا، منتظرة نهاية هذا اللقاء الغير مرغوب فيه، "أنا أقول لك أن المجرم ما زال طليقا هنا في القرية.."

"حقا! ما زال طليقا! ربنا يرجعه"، وهي تخبط على كتف الدكتور الذي نظر بغضب اتجاه يدها وهي تخبط عليه، وتوليه ظهرها لتذهب، فصاح بها في غضب، "اسمعي يا ست أنت.."

"ست هذه تبقى أمك.."

"أنا أمي فعلا ست الستات.."

"على نفسها وعلى أبيك، ليس علي".

"اسمعي يا ست يا قليلة.."، أمسك نفسه..

"لاء، ما تكمل قليلة ماذا؟ ل تترد في صدرك ولا حاجة.."، ابتسم وهو كاره، "اسمعي وأخر.. اسمعي وانتهي إذًا، المجرم مستعد لقتل ابنك، وأنت حرة، مع السلامة.. لا تنسي أن تشتميه بأمه بعد قتله له".

"إن شاء الله أنت"، وهي تشيح إليه بيدها وتصيح به في ظهره وهو تاركها وذاهب.. "ميتين أبوك على الرباك إذا كنت متربية أصلا"، وهو يندم على رؤيتها وانه كان يجب أن يكلم زوجها الحنون أكثر منها، وكان غباء منه أن يظن انها ستغضب وتنتفض أكثر لهذا، لانه ابنها وليس ابنه.. وهو يلعن هذه اللحظة ثم يستغفر، "اللهم اغفر لي لعني هذا، ويتذكر انه لم يستطع شتمها.."، ومغمض عينيه من الندم والحسرة وبكى قليلا وهو يتوب ويستغفر ربه حتى نام.

صحا وهو لا يستطيع إبعاد هذا الهم من عليه، لا يعلم "كم اهلكنا من هذا ولم يكن لعباد الله مقرنين".. "لماذا أضع هذا على عاتقي؟! هل من الممكن أن أعتزل في يوم؟! كيف وقد قلت حينما تعتزل الجريمة؟! لا أستطيع مقاومتها ولا أستطيع قتل قلبي، إذًا فأنا هكذا مجرم مثلهم أجمعين حينها سأموت حقا ولن يستطيع أحد تشريحي.. ولكني لا أستطيع العيش هكذا.. من المجرم هنا؟" .. استغفر ربه سريعا بعد أن رعب مما قاله، قائلا، "استغفرك يا ربِّ، لم أكن أقصد، أو.." والدموع

ظهرت في عينيه لما قاله من همه، "لا أعلم، فقط اللهم اغفر لي زلاتي أجمعين.. واغفر لي ذنبي كله دقه وجله سره وعلانيته وأوله واخره.. اللهم اغفر لي يا رب العالمين.. أنا أعلم اني هنا وأنك سبحانك وضعت في هذا ليس لتعذبني ولكني أعذب نفسي.. أنا فقط بشر ضعيف.." هنا تذكر المجرمين.. "اللهم اغفر للكل يا رب العالمين.. لا، ليس للكل، أنا هنا مهموم بسبب الجرائم وهم من يفعلونها.."، ثم تذكر زلاته.. "اللهم اغفر لي ولهم.. اه.. أنا تعبت يا ربِّ واحترت.. الحمد لله ربِّ أن الحكم لك وإلا سنغضب ونتعب ونجن والعياذ بالله ممكن أن نكفر.. شيء بسيط أزلني فما بالك.. استغفر الله العظيم.. فما بالي أنا إذا كان الحكم بيدينا.. أنت تعلم ما نسر ونعلن، أنت تعلم كل شيء، والهدى بيدك يا رب العالمين، فالحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.."، رن الهاتف وهو جالس على سجادة الصلاة يدعو ويغرق في الدموع، انتفض لهذا عرف انها أمه، فقد شعر بهذا وابتسم.. وقد شعر أنه يجب أن يجعل لها ولأبيه وأخواته نغمة محددة لكل منهم.. ولكنهم كان يأتيه هاجس الخوف إذا جاء لأحدهم حادث أو مكروه أو شيء ما، فهو يرفض أن يقول الموت، ولم يعد يسمع هذه النغمة ثانية ستسبب له ما يقال حاليا (Trauma)، لا، لا.. فهذا أفضل ثم ليغير الهاتف لاحقا حتى وإن كان

جديدا.. ذهب مبتسما وكأنه كان متلهفا سائلا نفسه، كيف تشعر هي بهذا، سبحان الله دائما مع كل هاتف لها يسأل نفس السؤال.. (توقيت الأمهات) ويضحك.. "الو، يا ست الحبايب.. يا حبيبة" ويضحك لا يستطيع كتم قولها..

تضحك معه، "الو يا حبيبي، ماذا، ألن تأتي؟ إخوتك كلهم بأولادهم هنا.."

"طبعا يا ست الحبايب، أنا كنت أصلي وسألبس وقادم.." وجد صوت أباه المازح دائما من بعيد..

"أجل يا حيلتها ما أنت الذي على الحجر.".. ضربته الأم على كتفه.. "اتركه لحاله، كفى الأموات الذين يجننونه.."

ابتسم بحزن، "حسنا أنا قادم، وسأجلب للحاج الشيشة التفاح التي يحبها".

"اجل هكذا أنت على حجري أيضا.." ضحكا معا، "لا، ليس لهذه الدرجة لا تجعلني أغيرها بدواء الكحة.."

"خلاص، خلاص.. حسنا، كفى حجر أمك".

"اقفلي يا ماما، اقفلي، قبل أن أغير رأي".

ضحكت، وضحكوا معها، "حسنا يا حبيبي، مع السلامة"، وكعادة أي أم لا تقفل الهاتف، يسمعها قائلة له بمزاح خفيف، "اتركه لحاله.." أقفل هو وهو يبتسم،

بحزن أيضا.. ذهب وبدأ يلبس ثيابه وهو يدنن "أنت اللي قتلت بابايا.. مظلوم يا عالم والنبي.."، ويتمايل بالرقص برجليه جيئا وذهابا.. حتى انتهى، فرح، سعيد مع كل زيارة ومكالمة..

ذهب إلى بيت عائلته الدكتور (أحمد إبراهيم محمد) ابن الدكتور (إبراهيم محمد) والمدرسة (تفيدة حسن)... "أهلاا ... يا ماما"... وهو يسلم عليها يضرب كفه بطريقة رجولية ثم يقبلها بخده ويحتضنها بقوة، ثم أبوه الذي ضرب إليه كفه بنفس الطريقة وقبله بخده، ولكن اكتفى بملامسة الخصر لبعضهما البعض مع بعض التقريب، وأخته (خابرة إبراهيم) المدرسة في اللغة الإنجليزية ولديها طفلين (أماني) و(إبراهيم)، "ايه.. لماذا لم يأتي (أمير) زوجك؟".. حركت يدها بلا مبالاة، وتركته وهو يسلم على أختهم الصغرى (أماني إبراهيم) المدرسة في اللغة العربية والحساب في المدرسة الابتدائية وزوجها (أحمد حسن باشا) عميد في كلية العلوم... "أهلا يا أستاذ (أحمد)"

"أهلا يا دكتور (أحمد), لا نراك يا رجل كثيرا!"

"ما انت مسحول مع أختى"، وهو يشير إليها.. حرج الأستاذ (أحمد) كثيرا، "لا، ولك الحق أنت الذي مسحول مع الأموات... ألن تنسحل مرة مع الأحياء؟"، ضاحكا، وضاحكين معه، ابتسم وهو يسلم على أخيه الذي يشتاق إليه كثيرا، (حسن إبراهيم) متخرج حديثا من هندسة الالكترونيات... "وأنت مسحول مع من؟" وهو يداعبه بقرصه وجنته بين عقلتي إصبعيه، وهو يبعد وجهه من الألم، ويضحك، "آه معها"، ردا على سؤاله مستمرا في مداعبته... "وهي، كيف حالها؟".

"بخير، الحمد لله".

"لم تأتي يعني!"

"قريبا... فهى تحرج هى وأمها كثيرا من هذه اللمة"... ابتسم الدكتور (أحمد) وهو يحرك رأسه ويضع الفوطة على رجليه، ليبدئوا في تناول الغداء بعد أن جلس الجميع واستقر... "ايه يا (أحمد) ونحن لن نفرح بك؟"

"إن شاء الله"، وقرر أن يحكي لهم عن الموضوع كي يتوه هذا الموضوع الذي لن ينتهوا منه طالما هم وهو أحياء، وكأن الزواج أصبح هوية جديدة للشخص، بل ويطبعوها عليه إذا رأوه انه بطبيعة الحال إذا هو في هذا السن الأربعيني أكيد متزوج، كم يكره هؤلاء الناس بل وكل الناس، الناس أصبحت أغرب الكائنات وليس

الكائنات الفطرية الأخرى، وهو يأخذ واحدة كبة بالشوكة، "اسكتوا، أنا في قاضية ما لها أول من آخر.."

رددت أمه فورا، "ما لك أنت بالقضايا ومشاكلها.."

حرك الدكتور (إبراهيم) يده إلي يده في خبطة خفيفة فهو يعلم أن الدكتور غصب عنه يدخل في هذه الأمور الذي ليس لديه علاقة أو دخل بها دون إرادة منه للأسف، ومع حركة أبيه أكمل... وهم منتبهون له... حتى شهقت والدته، "يا للهول، يا بني، ليحدث لك أي مكروه كفى الله الشر يا رب"، وهى تقوم من مكانها وتحتضنه، في هذا الموقف المحرج بالنسبة له، "اهدئي يا أمي، يا ماما.. اهدئي"، قلق لهذا، ما هذا أهو سيموت حقا قريبا؟ حرك رأسه بعينيه حركة بسيطة بعد أن قلق لهذا، وطمأن نفسه أن الأعمار بيد الله، وليس شرط دائما أن قلب الأم يكون على صواب... وما طمأنه أكبر نظرة أبوه المطمئنة، بالتأكيد يوجد قلب الأب، ضاحكا على هذه الداعبة الغريبة، من أين سيأتي! من نطفته، ساخرا... وهى تقول، "اسمع يا (أحمد) يا حبيبي، أنا أريد أن أفرح بك"، ابتسم، "وأنا الذي كدت أصدق خرافات قلب الأم"، بل ضحك أكثر، ولم يستطع التوقف، "إن شاء الله يا ماما.. لو مسكنا هذا المجرم وقبضنا عليه سأعتزل وأتزوج.."، انتبه لما يقوله، "يا للهول.." في سره، فيأسه جعله يهري بالكلام، فأكمل، فقد انتهى الأمر بالفعل، "وإن شاء الله سأرزق بأطفال

مني ومن زوجتي الحبيبة إن شاء الله القادمة..." آه، يا للهول توقف عن الهراء"، وهو يسكت نفسه في سره... فزعه رد الأم والفرحة في الوجه والاندهاش هذا الذي كان يرفض أي زواج، "بجد يا حبيبي"، وقامت حضنت رأسه ثانية، "لا تجعليننى أرجع في كلامي".

"لا، يا حبيبي، أنت وعدتني خلاص"..

"آه يا للهول... تزيد الموضوع أكثر علي وأنا بالفعل ندمت في منتصف كلامي، يا للهول، يا للهول... منك لله يا (أبوزيد) الزفت، سوف أدبس في زواج بسببك أنت والذي منه لله أيضا، (إسماعيل) ال..." وهو يضم على شفتيه... قائلا له والده ، "اهدأ يا حبيبي ولا كأنك أنت العروس"، ضاحكين، فابتسم بسخرية مغمض العينين، وذهب وتركهم... "إلى أين؟!"

"إلى العمل، قبل أن اتركه أو شيء"، "يا أخي توقف"، وهو يلوم نفسه، قائلا زوج أخته وهو على مائدة الطعام ويشير له بالشوكة قبل أن يذهب، "أنا سأمسكه لك"، ضاحكا، فضحكوا معه... أراد أن يبادله المزاح الذي يراه سخيفا، قائلا، "لا، هربه من أجلي"، فضحكوا معه، ولكن تضايقت الأم وهى تدب الشوكة والسكينة على الطبق الذي كاد أن ينكسر، وقامت... وهي تعدل له الياقة أمام الباب، "روح يا حبيبي ربنا يكفيك شر الناس ويبعدك عن شرهم، ويبعد الناس عن شر هذا الرجل

(أبوزيد) بالقبض"، حرك وجهه بابتسامة غير مرغوب بها، "حسنا يا أمي، يا ماما... أمين", فلم يكن سيقولها لولا نصف الدعوة الأولى ثم لام نفسه لاحقا، وهو ينزل على السلالم، "ما كان ممكن اقرأ المعوذتين أنا وانا نازل"، ولام نفسه على غباءه.. ولكن شعر أن هذا ليس منه ولكن ذكاءه لم يحضر في هذه اللحظة قدرا من الله تعالى ليؤمِّن، وهو يحرك رأسه، وشعر أن الأمر سيتم حقا وانه سيتزوج في وقت من الأوقات، فالكل يخدم هذا القدر الآن، "اه، يا للهول.."، وهو يضع كفيه على وجهه وينزل بجسده في ضيق وغضب، ثم قال في نفسه، "على الأقل على حساب القبض على هذا المجرم، السفاح"، فأعجبته كلمة (السفاح) فهي لم تأت على باله من قبل، وكأنها كانت الكلمة التي تقنعه وتريحه وتبسطه من الأمر، "ما هذا؟ حتى التعبيرات أصبحت تخدم هذا القدر... حسنا"، وهو يحرك رأسه في تقبل، "ما هذا؟.. حتى حالتي النفسية"، بضيق أكبر، أراد أن يصرخ، "من هذه سعيدة الحظ لهذا... كل شيء يُخدِّم على قدرها"، باكيا بطريقة ساخرة، ثم قال، "حسنا لنرى، كلها يومين وسيفرج عن المدعو (إسماعيل).. وأنا سأتفرج فقط حتى ضميري يستيقظ... لا، ضميري عمره ما مات أبدا.. أو يعني... حسنا أنا سأنيمه، أو يا للهول لا أستطيع... حسنا، هكذا أو هكذا، هذا الرجل لم يُمسك في حياته، إذًا لماذا سيُمسك الآن يعني؟!"، ولكن

كلما يتذكر ما يُخدِّم على القدر يفزع، "حسنا سنرى، هذا زواج يعني في الآخر وليس حقنة يعني، شيء بسيط يعني... عادي", ولا يزال يكلم نفسه حتى وصل إلى بيته وحمل لنفسه بحماقته هم على همه بالفعل.

ذهب إلى بيته مهموما بما قاله، كيف أخذه استهتاره بالكلام وبكثرته إلى هذا الأمر، "كم أنا ثرثار، أحمق.. أو أبلة.."، وهو يحرك كفه ورأسه، "لا أعرف، أو الاثنين، بل الثلاثة.. لا فأنا ثرثار هذه مفروغة منها.. أسكت، أسكت، اووو.. شوية"، وهو يفعل حركة (عاطف) في مسرحية (العيال كبرت) ويخبط على فمه، "اسم شخصية (عاطف) في أي شخصية تكون لذيذة"، متذكرا شخصية (عاطف) في فيلم (الناظر) مبتسما، "إذا خلفت سأسمي (عاطف)"، ضاحكا.

ذهب إلى عمله في المشرحة جالساً يفكر فيما ورط به نفسه ولكن أحيانا يكون مطمئنا أو هو يطمئن نفسه بأنه لم يُمسك قط على حسب ما فهم من جهاز الشرطة، فلم

سيمسكونه الآن! "لأن الله تعالى أرادني أن أتزوج"، وهنا وقف ووسع بقبق عينيه، في ذعر، "لا، لا، بالتأكيد، إن شاء الله يعني، لن يحدث ذلك"، ولكن لا يعلم لم شعوره يقول غير ذلك.

ذهب ليجلس قليلا مع صديقه (أحمد) في أرقى مقهى في المركز، الذي لا يدخله إلا قليلا، المبسوطون بنفسهم كما يقولون، لذلك لا يجلس إلا فيه الضابط (مدحت) مستحقرا باقية المقاهي في المكان، انه لا يجلس ولن يجلس إلا في مقهى أو مقاهي مثل هذا في أي مكان ينزل فيه في الدنيا، مرتشف فنجان القهوة الذي يجعل الطبيب (أحمد) ينظر إليه في استغراب متعجبا من هذه القنعرة، وفي الأخر لا يشرب إلا فنجان قهوة، ولا يشرب من كوب الماء الذي أمامه غير رشفة قبل الفنجان، هذا إذا شربها، في كل مرة يقول له فيها، "كان ممكن نشرب هذا الفنجان في أي مقهى بلدي".

يزغر فيه ويشخط بحمقة شديدة، "اخرس، نحن لا نشرب في أي مكان".. محركا الطبيب (أحمد) فمه، متذكرا كم مرة شرب من (الكولديرات) التي في

الطريق، ولكنه لم يرد أن يفتح فمه بها، قائلا بعد رغي كثير محاولا تجنب الموضوع، "شوفت الولد الذي يدعى (إسماعيل) سيخرج غدا بعد الظهر"..

وهو يرتشف هذا الفنجان الذي لا يخلص، وكأنه يستمتع به، وينظر إليه مع كل رشفة منزلا بصره إليه، هو حقا يستمتع فهو يحب القهوة كثيرا، وهذا الفعل يجعل تعجب الطبيب (أحمد) بالأمر يزيد في كل مرة يراه فيها يفعل ذلك يدعو للضحك، هو لا يمثل، ولكن حركاته كأنها تمثلت في مائة فيلم قبل ذلك، ضاحكا، ولكن بصمت، كما كان دائما رُبَّ قليلا، "حقا... جيد"، والأفكار تتوارد إليه يريد أن يناقشها كلها..

قائلا الطبيب (أحمد) مبتسما، بل زاد ضاحكا، "أعلم، أعلم ما ستؤول إليه نفسك من أفكار"، وهو يضحك كثيرا، بشدة... إحدى مراته القليلة... ينظر إليه الضابط (مدحت) وقد كان خفيف الدم يرسم الجدية أو يستخلص ١٪ الجزء الجدي له، ناظرا إليه ثم إلى الفنجان ضاحكا، مبتسما، لا يريد، لعلمه صديقه ما يدور في خلده، والذي يعلم انه من الصعب عليه دائما قول أفكاره التي تجعل أي أحد يتنرفز منه، كما تنرفز هو مرات عديدة، وهو أراد قولها، ولكنه كان يكابر ويتكبر ويترفع بأنه لا يهتم، حتى قفشه صديقه، وزاد من هذه ردة الفعل ضحك الطبيب أكثر.. ثم قال ضاحكا، "حسنا، حسنا،

لنرى"، وهو ينظر إلى الفنجان الذي يقربه من فمه بحول، ثم قال، "حسنا"، فقفز الطبيب (أحمد) من مكانه قائلا، ثم تذكر فورا وعوده التي وعد أهله بها، متراجعا في مكانه وهيئته، فنظر له (مدحت) مستغربا، وهو لايزال سيرتشف أخر رشفة من الفنجان الذي يسعده أو يلهيه كثيرا، لم يفكر في الشعور، لا يبالي لا يهم، ثم قال، "ما لك كل قضية تجلس هكذا! أهدأ يا عم وانبسط"

"انبسط كيف يعني؟ أنا لا أستطيع أن أعيش حياتي وأنا في تلك الشغلانة..."، ثم تذكر انه ربما يفكر في التقاعد، "كم القدر معك أيتها الفتاة المحظوظة... كيف هذا؟!"

"ما لك يا عم؟ تفكر كثير لم؟"، وهو لايزال يرتشف...

"هل هذا الشيء لم ينتهي بعد ام إنها هى التي تشربك!"، ضاحكا بجانب عينيه بصدره... ولكن انفجر (مدحت) من الضحك، "واضح هكذا أنها التي تشربني"، ولا يستطيع التوقف من الضحك... ثم قال: "إنك تحب عملك يا (أحمد)، كيف هذا؟!"

"أن أقول ذلك! عادي يا عم... أليس أفضل من أن يأتي لي الولد جثة؟".

"لا تقلق... "، وهو يصب أخر نقطة على فمه... "كفى، كفى"، هو يأخذ الفنجان من على فمه بعصبية، ضاحكا، مبتسما (مدحت)... ثم قال، "لا أقلق ماذا؟!"

"لا تقلق، فقد جاءوا إلي..."

"من؟! أمه وأبوه... أقصد زوج أمه"... "أمه وزوج أمه.."...

قائلا (مدحت): "أجل..."

"لماذا؟!"، مسرعا..

"أصبر.. أنت لست منتظر الكلام... زائد ألا تقلق على نفسك وعلي؟! فالمجرم يعرف أشكالنا"... هنا لم ينتبه الطبيب (أحمد) لهذا الأمر، وقد تذكر والدته وأسرته، "يا للهول، يا للهول..."

"أهدأ، اهدأ..."

"أنا الذي أشرح الناس، سيتم تشريحي!... لا، لا.."

"أهدأ، اهدأ..."

"كيف أنت هادئ للدرجة هذه؟"، وهو يخبط يده ببعضهما يرميها بعيد... تفاجأ الضابط (مدحت) من هذا الفعل، مستغربا ومستنكرا، فهذه أول مرة يكون عليه صديقه من هذا الانفعال... "ما لك؟! ما بك؟ قلت لك اهدأ، أم لأنك ليس معك سلاح؟"

"هذه هي المشكلة يعني؟"، في غضب أكثر... نظر الضابط (مدحت) حوله، "ما لك نحن في مكان راقي، ارتقي"، وهو يضغط على كفه قليلا،

"لا، أرتقي أنت، أنا ماشي مع السلامة"... وهو يكلم نفسه في الطريق: "أنا سأذهب إلى أمي أجلس معها مع أني لم أعد اتعود على ذلك، ولكن هه، ما باليد حيلة"، وأيضا شعر بحنين الماضي، كم كان هذا البيت مرحا وسليما ومسالما، خصوصا عندما كن أخواته البنات موجودات فيه...

ذهب إليه صديقه يطمئنه، بعد أن رحب به في بيته، "أهلا وسهلاً، أهلا وسهلا".. وجلب معه زوجته لتجلس معهم بينما هو يجلس مع صديقه قليلا...

وهما داخل الغرفة... لا يستطيع الضابط (مدحت) أن يخفي ما به من علامات الضحك، فالغرفة تبدو تقليدية وخفيفة على الأخر، هذا غير الروح الطفولية والعائلية التي بها، فهي لا تشعره بالراحة والحرية الكاملة مع صديقه، وكأنهما في زيارة أيام المراهقة، "يا بني لا تقلق إذًا... ت... ما قلت لك... أدي الولد خارج بقى له جمعة... لا تستغرب... فقط خرج... وأهله قبلها جاءوا

إلي حتى أذهب معهم لأخطب له كما قالوا خطيبته السابقة..."

"تخطب! أنت تذهب لتخطب؟!"، باستنكار وغيظ من همه... دخلا في الكلام مع بعضهما، "أصلهم حكوا لي..".. "أنت أصلك لا تعلم شيء...".. ثم نظروا لبعضهم... أصبح لم يهتم الطبيب (أحمد) لحكايات المدعو (إسماعيل الزفت ثأري) هذا... حتى اسمه (لقبه) (ثأري) واضح أنهم عائلة غير ناضجة أب عن جد ولو انه شعر أنهم عائلة ليست بالساذجة الغبية، غير (إسماعيل) لعله الذروة منهم، ضاحكا بداخله... "ايه؟!!.."

"اسمع أنا لا لي دخل ب (إسماعيل) هذا ولا بغيره... أنا لي دخل بي فقط..."... والآخر يريد أن يكمل الموضوع... "يا سيدي اسمع..." قاطعه.. "المهم انه خطب الفتاة..."

"ييبي... يا دي النيلة... يا سيدي اسمع... أنا..." ولم يرد أن يحكي له لكبريائه كيف بعد هذه السنين سيتزوج، "اسمع..."، وأصبح الهم يلمع في عينيه، والضابط (مدحت) منتبه، "ما لك يا (احمد)؟"

"يا عم اسمع..."

"ما انا سامع، اخلص"، في غضب سمع همهمته من بالخارج... ناظرون لبعضهم مبتسمين غير مباليين

يكملون حديثهم، وزوجته جالسة بكوب العصير بأدب خائفة أن زوجها يغضب عليها...

"أنا... أنت ستعرف كيف تمسك هذا المجرم أم لا..."

"إذا أمكن"

غاضبا عليه، "ما معنى إذا أمكن؟"، وهو يشير إليه بالوسادة التي في يده... ثم نظرا من بالخارج اتجاههم ثانية مع قلق الزوجة وبعض قلق الأم، فقد كان الدوي أعلى المرة هذه، صابرين على الأمر، مطمئنين أنهم أصدقاء... سمعوا صريخ آخر، "ما لك يا عم (أحمد)؟! ماذا في؟!"... حرك الطبيب (أحمد) فمه...

"قلت لك لا تقلق، الولد سيتزوج، وتزوج أنت أيضا وريحنا"... هنا ارتاح الطبيب (أحمد) قليلا، وحول الموضوع لتحد، وعينيه تبرقان من الفكرة، وقام وقف على ركبتيه يحرك في الوسادة، وعلى عينه أن يقولها، فهو أصبح متعود على الوحدة أكثر من أي شخص، لدرجة انه غير مرتاح مع هذه العيشة التي مع أهله الذين يحبونه كثيرا، ولكنه أصبح لا يستطيع، ولكنه قال: "حسنا إذا استطعت القبض عليه أوعدك سأتزوج"، فتح الضابط (مدحت) فمه فرحا وهو يهزه من ذراعه، "ألف مبروووك، ألف مبروووك، يا (أبو حميد)"، وهو يحتضنه... "أوعى..."، وهو يشد نفسه منه، "هذا إذا عرفت تمسكه"،

"يا سلام، عيني"، سمعت الأم المرة هذه والكل المباركة، ابتسمت الزوجة ارتياحا تشرب من كوب العصير المانجا التي تمسكه في يدها، وظنت أن الطبيب (أحمد) سيتزوج، والأم قلبها خفق فرحا لا تطيق الانتظار، ولكنها انتظرت على قلبها هذه المرة، والأب الذي كان أهدى لا يتأثر بطبيعة الرجال المصريين... ولكنه ابتسم رغما عنه ابتسامة خفيفة، وهو يشرب القهوة التي أمامه، ولم يشعل السجائر احتراما للضيفة، لذلك كان يشرب القهوة التي يحبها مضبوط، سادة.

خرج بعد برهة الضابط (مدحت) وخلفه، بجانبه الدكتور (أحمد)... يتحدثان، ويضحكان، وفي نفس الوقت الدكتور (أحمد) يكره الوضع أكثر، وأكثر... مفكرا انه ربما كما يقرب القدر الأمر، يجعله القدر أيضا مبسوط، وسعيد في وقتها، الله أعلم، ثم فكر... (فالأفكار تأتي خلف بعضها لقلقه وكره للأمر)... أنهم لم يمسكوه ابدا... ثم خاف وأوسع بقبق عينه عندما أدرك انه ربما استهتار منهم ولكن لماذا؟!!

"هيا، يا حبيبتي، هيا بنا"...

قائلة في سرها بسخرية ومزاح، "هيا بنا نلعب!"، وهي تقوم خجلا، فهي تخجل كثيرا، لذلك لا تخرج كثيرا... ولايزال يبتسم ابتسامة الضباط هذه وهو ينظر إليهم

بعينه التي تتضيق فجأة لنظره الحاد، الذي يخاف عليه من شدة حدته أن يلبسه نظارة طبية، يكفي عليه النظرات الشمسية التي لا يستطيع أن ينتهي منها وإلا تضرر عينيه من شدة وحساسية الضوء إليها... مبتسما، قاما الوالدين والأخ ليسلموا عليه وعلى زوجته، "مع السلامة".

"مع السلامة يا حبيبتي".

"مع السلامة يا سيادة الضابط"، مازحين...

"سيادة ضابط ماذا إذًا؟! هذه التهمة هكذا يعاقب عليها قانوني"... ضاحكين... "مع السلامة يا سيا..."، ضاحكة، "مع السلامة يا ابني".

"مع السلامة يا أمي"... ولكن امسكه الدكتور (أحمد) من كمه، نظر إليه الضابط (مدحت) في استغراب... في تساؤل، كان يريد أن يسأله عما إذا كان الخطأ من عنده؟ من عندهم؟... ولكنه تركه حتى لا يكبر الموضوع أمام أهله، لنرى إذا كان هكذا فعلا أم لا؟

ذهب الطبيب (أحمد) إلى عمله، ككل يوم... يضع الحقيبة التي يحملها على كتفه، على منضدة المشرحة... متنفسا، متململ، وكئيبا، لا يوجد حوادث هذه الأيام، جيد، ولكن ليس جيدا جدا، فهذا يقرب بوجود جثث كثيرة الأيام، القادمة... جاءه أحد المرضى: "انظر يا دكتور، انظر"، برعب شديد، وبضيق أشد ينظر إليه الطبيب (أحمد)، ما هذا؟! فهذه أول مرة يرى بها من يتقدم للموت أمامه، "ما هذا؟ ماذا حدث؟!"، وهو يحرك ذراعه يمين ويسار، يرى علامات الموت ما قبل الانتهاء... يفتح العينين، وقلبه ينبض قبل المريض المتوفي، والذي تحمله، تبكي بحرقه، تعلم ما به، لكن لا تستطيع، لا تستطيع أن تفعل أكثر من هذا، "انظر يا دكتور، انظر"، ولاتزال تبكي لا تستطيع التوقف، اللحظة، اللحظة التي يشعر بها أي مريض، وبالتالي أي إنسان آخر يعرفه أو لا، هذه اللحظة، هذه اللحظة فقط، الذي يشعر بها كل كائن حي سواء هو أم لا، بل ملك الموت وحاشيته، ما هذا؟ ما هذا الجو الذي يضفيه ملك الموت على المكان من رهبة وهيبة، وحتى وإن لم تكن أنت المقصود؟ سارت القشعريرة في جسده من كثرة هذا التفكير، وبدأ يشعر بسخونة وبرودة في الوقت ذاته، بدأت يداه ترتعشان، الكل يعرف أنه في موقف هام لا يحسد عليه، المريض نفسه، الذي رفع عينيه للطبيب، الذي فزع ورجع إلى الوراء خبط في منضدة التشريح،

وكأنه... وكأنه؟!! بل أول مرة يرى جثة تنظر إليه، انفض نفسه ورأسه بعنف، وشعر البكاء، محاولا إدراك ذاته أنه لم يمت بعد، بل الحياة لم تزل، "اووووهف، الحمد لله يا رب"، رفع هذا المسكين على المنضدة، فقد كان قوي البنية ويستطيع رفع الأجساد المتوفية التي هي أثقل من الحية أصلا، سبحان الله، أجلسه... توجع الحاج، "ماذا بك يا حاج؟"... كاد أن يتكلم، ولكن انهارت ابنته من الصراخ على الأرض وهي تضع يديها حول فمها ووجها، ناظرا إليها الطبيب في فزع، فهو لا يحب تلك الأصوات، كالأموات بالضبط، نظر الدكتور، وقد فزع أكثر، فقد مات بين يديه، انهار الدكتور (أحمد) عليه فهو لم يستطع إنقاذ روح، وهل يصلح أصلا واحد مثله، يتعامل مع الموت أن تكون له حياة أصلا، ترك العمل وذهب وهو يخلع رداءه في عنف وانهيار، مهما ستقول عليه هذه الفتاة، لا يهم، تقول عليه، "مهمل"، "شديد الإهمال"... "السبب..."، "السبب؟!"، "لا، أنا لست السبب..."، ولكنه لم يستطع الرجوع في انهيار، ولا يستطع التوقف، ترك المكان برمته في انهيار تام، لا يستطيع، بل، بل لا يقدر، على الرجوع لهذه مرة أخرى في حياته بل الموت سهل لأن لا إنهاء له بعد نهايته... باكيا، أما الحياة! فلا، ولن تكون أسهل أبدا من الموت، لا يستطيع التوقف، بعد أن دخل في هذه النوبة، لا يستطيع مهما حاول، وقرر خلق

حياة بأمر الله، داعيا الله تعالى في توفقيه في هذا، وجعلها حياة تستحق أن تحيا وتعاش لأجلها حقا... بل حيوات... لا يستطيع التوقف عن التفكير، يذهب جيئا وذهابا، يضع يده بأصابعه حول وجهه، لا يستطيع أن يخرج نفسه مما هو به، ولا يستطيع التوقف... جيئا وذهابا، فالحالة مؤصدة عليه، تغلفه من أوله لآخره، حتى أغمى عليه، فقد خر ساجدا بكل قواه إلى أن أغمى عليه من التعب، ومن التفكير.. سائحا في ما كان فيه، خارا إليه للآخر، لا يستطيع النهوض عنه حتى في نومه.

ذهب مسرعا إليه الضابط (مدحت) بعد غياب كبير بينهما، "ماذا بك؟ ما مشكلتك يا (أحمد)؟"، وهو يرفع الغطاء من عليه... شد الطبيب (أحمد) الغطاء، "قوم يا (أحمد)، ما مشكلتك؟".

"ليس لك دخل، لم جئت أصلا؟ اطلع برا".

"شوف، أنا لن أرد عليك..."، وهو يخلع له ملابسه ويقومه من على الفراش، "ما بك هكذا! اذهب احلق ذقنك هذه... ما بك؟"

"ليس لك دخل، قلت لك"، وهو يدفعه ويصرخ فيه... تنفس الضابط (مدحت) وجلس... ثم قال: "إذًا انظر... أنا كنت لا أريد الذهاب، لكن لحالتك هذه سوف نذهب الليلة لزفاف المدعو (إسماعيل ثأري) هذا"... حرك الطبيب فمه، ناظرا له، محركا عينيه في ضيق لأسفل وأعلى حركة سريعة، يفكر بكبرياء أن هذا هو الذي سينهضه مما هو غارق فيه لأسابيع، فقد ترك العمل لذلك الذي أصابه يومها... ثم قال وهو غاضب قليلا مستكبرا، لا يريد أن يظهر انه مهتم حقا، ولكن غصب عنه شغل هذا الشاب اهتماما عنده لم يكن يريده، ثم قال وهو يحرك يده بأصابعه على السرير: "آاه..."، وينظر إليه في حرج تارة، وتارة ينزل عينه مرة أخرى: "وهل سيتزوج هذا الصبي؟"

"صبي! هذا أنت الصبي..."...

قام من على السرير بركبتيه عليه، وقد عليه بعض الغضب الذي يكلل بالمرح، وأمسك الضابط (مدحت) من رداءه: "لا تجعلني أريك كيف تحقق في مقتلك ولن تعلم أيضا"... فاجأه هذا التهديد المريب والمفاجئ والغريب في نفس الوقت والذي أول مرة يسمع تهديد مثل هذا النوع، ضاحكا لا يستطيع أن يتوقف حتى دمعت عيناه... جعل التهديد أيضا يتفاجأ منه الطبيب: "ما هذا الذي قلته؟!!"، ضاحكا هو الآخر، وجعل هذا

التعجب انفجار الضابط من الضحك أكثر، ضاحكا معه صديقه وهو لا يستطيع ماسحا دموعه وكأنه مصاب بنزلة انفلونزا شديدة تجعل عينيه تدمع من أقل شيء...
"حسنا، حسنا، فأنا لست حمل هذه القضية التي ستكون معقدة علي، يكفي هذا الرجل الذي لا نستطيع إمساكه"، ثم فجأة قفز من مكانه، مع نظرات الطبيب (أحمد) المتفاجئة المستغربة له، "وجدتها، وجدتها".

"مثل ارشميدس..."، مبتسم، "اطلع اجري عريان برا"، باستهزاء، ضاحكا الضابط (مدحت)، "احنا عندنا (إسماعيل) جاهز".

"جاهز لماذا؟".

"أقصد طعم جاهز لنا، هكذا أو هكذا هو لن يتركه (أبوزيد) حتى يمسكه".

"ف؟"

"ف..."

ضاحكا عليه: "انت لا تعلم!".

"المهم أن الطعم جاهز".

"الطعم جاهز دائما!".

"لا تقلق اتركها علي".

"أنا لست قلق".

"لا، سأزوجك وأكسب الرهان، لا تقلق... أنت قلقان يا بطة"، وهو يمسكه من خدوده... فلوى الطبيب له ذراعه، "آه آه..."، ضاحكا، "خلاص، خلاص"... "دا أنت هزارك ثقيل جدا، ايه يا رمضان مبتهزرش".

"لا، ياختي مبهزرش"، راح رافع الضابط في وجهه الطبنجة، فرفع الطبيب يده ضاحكا، "ايه يا رمضان مابتهزرش".

"أبو شكلك في الأرض".

"لا اسمع..." بنرفزة

"لا اسمع انت..."، ووجه إليه الطبنجة مجددا، ورفع الطبيب يده ملاكما، ثم قال الضابط، "خلاص"، ورفع يده بصورة مسرحية كأفلام الأكشن ك (أحمد السقا) وهو يرفع يده تسليما لنفسه وهو يضع الطبنجة أمامه، ضاحكا الطبيب، وهو يضبط ياقة قميصه في تقمص، "good for you"، وهو يحرك رقبته بحركة مسرحية أيضا، مبتسم الضابط، ثم قال، "ها؟..."، وقد عدل سؤاله لقرار فورا، "قوم ألبس"، وهو يشلح عنه قميص البيجامة، والآخر في تفاجؤ ينزله، والآخر يشده، وبين شد وجذب كقطاع الطرق حينما يبرزون لأحدهم، "ابرز ياض"...

"ابتعد..."، وهو يشد نفسه، "ما بك؟ الآن؟!".

"أجل الآن".

"لا يزال باكرا، ونحن يعني..."

" يا عم تعالى..."، وهو يشده مرة أخرى، "سأغديك برا".

"حقا؟".

لبس بدلته الكحلي في القميص الأخضر الباستيل الفاتح، وهو يرفع البنطال كعادته دائما لإحساسه دائما انه دون المستوى منذ صغره، لا يعلم لماذا، رغم الحزام الذي يكلل وسطه ويبرزه، وهو يحب قطعة الحزام كثيرا، لإحساسه بالأمان أولا أن البنطلون لن ينزل دون المستوى رغم رفعه المتكرر لا إراديا منه، ولشعوره بأناقة وجمال هذه القطعة للجسد أيضا، فقد شجعته لعمل الست عضلات للبطن، رغم ترهله إلى العضلتين الأخيرتين، والتي حين نظر إلى نفسه شعر أنه يجب عليه ضبط جسده مرة أخرى، وجاء في باله حتى وإن كان عريسا يجب أن يكون في أبهى صوره، يجب أن يكون أجمل عريس، وسيهتم أيضا بتفاصيل جمال عروسته، فهو يريد أن يكونا أجمل عروسين، أجمل عروسين حقا، تقر بهم الأعين وتفرح، أزعجه أن الأمر في باله، لا يعلم لم كل شيء يرم إليه، منزعجا وهو يضبط البنطلون ناظرا إلى اللا شيء مكشر الوجه ويداه

فقط تتحركان... "ها؟... خلصت؟"، وهو قادم ينظر إليه من مدخل الغرفة، "إذًا هيا، هيا بنا... ت، لكن ما يا عم هذه الأناقة، يا سلام"، يناغشه...

مبتسم الطبيب في حرج وهو يضع العطر عليه، يرشه من بعيد بكميات كبيرة جيئة وذهابا على صدره ومنطقة وسطه بالكامل، كح الضابط، "خلاص يا عم، كفى.."، كح مرة أخرى، "أنت مستحمل كيف؟!".

"لاء ما انا ألاقي نفسي أن نفسي يكتم".

"طبيعي، حتى نفسك لا يطيقه"، ضاحكا...

"طب هيا"، وهو يرش عليه نكاية فيه...

"يلا، يا عم، على الله نعرف ناكل بعد الكمية التي رششتها أنت هذه... اتاريني وأنا اشرب القهوة اشعر بعطرك في فمي، قليت مزاجي يخرب بيتك".

"أكثر من هذا!"، وهو يخبطه على ظهره بغيظ، "امش، امش".

"بعد كدا، لا ترش هذا العطر الغالي، الفخم الجميل وأنت معي مجددا، ما هذا القرف!"، وهو لا يزال يكح...

"قرف، لا تجعلني أذهب وأضع أكثر"

"خلاص، خلاص، أمش"، وهو يدفعه أمامه وقد كان اقصر منه ببضع مترات... "فوقت علينا، أمش، ابو شكلك".

"والله العظيم..."، وهو يلف إليه، فأداره الضابط مرة أخرى، "خلاص، خلاص"، وهو يدفعه، ومازال واضع المنديل على فمه، ومغمض عينيه بالكاد يفتحهما...
وخرجا من البيت إلى الشارع، وكأنه تغير بالنسبة له، شعر أنه لا يريد الخروج، متململا أول ما رأى الشارع، "أمش، مالك؟".

وهو يجز على أسنانه...

"أمش، أنت لا تريد أن تذهب إلى هذا العرس؟".

"العرس؟"، فالعرس هو الذي أخرجه من هذا، ثم حرك شفتاه لأسفل في اضطرار وذهبوا.

ذهبا معا إلى مكان الزفاف الذي كان مضاء جميعه بالليالي الملاح، فهو مكان مخصص للأفراح، في شارع الليالي الملاح كما يطلق عليه البعض، لانه مضاء من أوله لأخره بالأنوار الملونة لكثرة المصابيح والقاعات والردهات التي به... وقد انبهر الطبيب (أحمد)

والضابط الفخم معه، الضابط (مدحت) أن أهل (إسماعيل العليل) انتقوا له أفضل قاعة بين القاعات، بل هي الردهة الرئيسية كما يسمونها أصحاب القاعات الأخرى، لأنها ملكية بحق، ويحملون بها العروس على هودج وأشياء كهذه، استغنت عنها العروس، ولكن الأم أصرت، وشعر (إسماعيل) انه لا بأس ان ركب معها هذا الهودج المرفوع على رؤوسهم، ثم صعدا إلى المبنى الكهربائي بطريقة آلية وحولهم الأنوار والنيران تنفخ، ذاهبان معها حيث يذهبون إلى الكوشة، جالسان، قاعدان ويبدو على العروس الحزن الشديد والكدر الأشد، مع هذا الفستان الماسي الذي اخترته لها أمها حتى تدفعهم أكثر لرفض ابنتها لهم، ولمعرفة نية أم (إسماعيل) الماكرة، لا تعرف كيف لم يطلع (إسماعيل) مثلها، ولكنها تجزم أنه بالطبع أخذ شيئا منها وليس من أبوه الذي كانت تراه رجلا حكيما وشهما حتى انها كانت ترى ذلك على وجهه النبيل... ناظرة إليها وهي تصفق وكل هذا يجول في خاطرها، ناظرا إليها الطبيب ومستغربا يميل إلى صاحبه الأطول منه بمراحل وهذا ما يضايقه، فعندما يريد وشوشته لا يقدر فيشعر بالغضب أكثر فيشده إليه، فيتعصب الضابط منه ويرجع نفسه بشدة في غضب، ويطوح كوعه في غضب أو يحدفه بعيدا عنه أحيانا... ثم قال: "ايه ما لك؟"، في غضب شديد قالها.

"بص"... فشده الضابط وجلسا على أقرب طاولة، وما لبث أن جاءته (أم إسماعيل) التي حَيّته في المايك هي وزوجها، وحَيّت الطبيب الذي لا تحبه ولكن هذا سيزيد من شعبيتها: "يلا، الخير لا يذهب"... مبتسمة في غضب، ثم عدلته لمزاج جيد بالكاد، بصوت عال حتى يسمعها الكل في تباه: "أهلا، أهلا بالريس، أهلا"، واضطرت أن تسلم على الطبيب، الذي سلم عليها وهو كاره أيضا، وأخذهم زوجها بالأحضان والطبطبة الشديدة، وهم يسلمون عليها، وأخذتهم من يديهما، ثم تذكرت فغمزت لزوجها، "هيا، أجعلهم يسلمون على (إسماعيل) وعروسته"، أخذهما (جائب) وهو يوسطهما، يضع يديه خلف ظهورهما، "أهلا، أهلا، نورتونا والله، أهلا، اهلا"... وأمام الجميع والكاميرا تصور، و(أم إسماعيل) (ثابرة) ترقص وتحَيّهم، "ألف مبروك لكل المعازيم الذين شرفوني الليلة أحَيّهم من كل قلبي، وأحَيّ الضابط العظيم الذي سيصل للواء إن شاء الله قريبا جدا يا رب، الضابط (مدحت)..."، حَيّا الضابط (مدحت)، (أم إسماعيل)، فقد أعجبه ما قالته رغم معرفته بنيتها، وحَيّت معه الطبيب مرغمة، "والدكتور (أحمد إبراهيم) عم الدكاترة كلهم"، حَيّها أيضا الدكتور، وحَيّا الناس معها أيضا مرغم هو الآخر، هزت (ثابرة) ابنها ليقوم يسلم وهمست له من وراء أذنه بأن يأخذهم بالأحضان، ودفعته قليلا، وهو ما فعله

للضابط (مدحت)، وابتسم الطبيب لرؤيته فهو يعلم أن بينهم ما لا يعلمه أحد وشعر أن بينهما كبير وكأنه لغز، "كم أنت محير يا (إسماعيل)"، قالها وهو يحتضنه، وبالتالي شعر (إسماعيل) بما هو غريب، مبتسما للطبيب وشعر أن بينهما كثير أيضا، وطبطب الطبيب على صدره من كتفه اليمين مبتسما، وقد شعرا انه لا يزال بينهما كثير... جالسا (إسماعيل)، ومفكرا الطبيب بمراقبته، وهو ما التفت مسرعا إلى الضابط قائلا: "انظر، نحن سنراقب (إسماعيل)، ما رأيك"، وشعر بحماس كبير وهو يقولها.

قائلا الضابط وهذا ما كانوا سيفعلونه أصلا رجال الشرطة لانه الطعم، رافعا حاجبه مبتسما في خبث: "ما رأيك نراقبه اليوم"، ضاحكا، ضربه الطبيب على ذراعه، فضحك أكثر، نظر له من كان قريب، ثم قال الطبيب: "نحن سنراقبه ولكن من بعيد"، ضاحكا الضابط، قال: "ولم ليس من قريب؟"، ضاحكا أكثر.

"أنا لا أحتاج لأن أرى هذه الأشياء"، مبتسما في خجل...

"لماذا..."، فقاطعهما والد العروس برقصه معهما، فقاما معه يصفقان ويتحركان قليلا، فأمسك الضابط يد الطبيب يناغشه قليلا، ولكن سحب الطبيب يده وابتسم وذهب جالسا، جاءه الضابط مبتسما فرحا بما فعله به:

"تعلم لو كان في مكان آخر مع أحد آخر لكنت تفاعلت معك، لكن (إسماعيل)! ل(إسماعيل)! بالتأكيد لا"... مبتسما الضابط، وقال: "هيا بنا"، وأشارا ل (ثابرة) التي جاءت فورا هي وزوجها، "لا، لا، والله لا يصح... بعد البوفيه حتى؟ بعد البوفيه... لا، والله، لا يصح"، والآخر يمسك بيدهم... ثم جاء عامل البوفيه بعد ان استعجلته (ثابرة) وأشارت له أن ينزل لهم أولا وهي واقفة هي وزوجها (جائب) إليهم، "نورتونا والله"، وهي تقول ذلك، وهما يبتسمان في حرج، ويحركان رؤوسهما في حرج.

بعد أن انتهوا ذهبا كُلًّا في طريقه، فالضابط لا يستطيع ترك زوجته بمفردها مع ابنتهما الرضيعة، والطبيب أصبح لا يستطيع منع نفسه من مراقبة هذا الذي دمر له حياته أو على الأقل أرقها، لا يستطيع أن ينكر انه بالتأكيد غيرها له، لا يعلم ما هذا التأثير عليه منه؟!

ذاهبا إليه، لا يعلم ما سيفعله بعد ولكن كيف له المكوث في هذه القرية؟ أيشتري بيتا؟ هنا؟ سيضطر ببيع

شقته... ثم أعدل عن الفكرة، الآن هو يتضور جوعا، لا يعلم عن هذا الجوع الذي ضربه فجأة هو والبرد، قائلا في نفسه بسخرية: "الأحياء!"، ثم نورت دماغه بفكرة أنه سيستأجر عيادة هنا، وسيضع كاميرات أمام باب (إسماعيل)، فهو بالتأكيد لن يمانع فهو (عليل) كما يُطلق عليه، وكاميرات أمام العيادة، ولم يفتح عيادة خاصة وهو ممكن يتعين... لا، لا، لن يكون قريب كفاية، "إذًا الآن ماذا سأفعل؟ هذا المجرم... كيف يعيش؟!... لكن أنا لست مجرم... هو (متعودة دايما)"، ضاحكا قليلا، مبتسما وهو ينظر حوله... "يا دكتور"، من خلفه وهو يضع يده خلف ظهره، انتفض قليلا فهو لا يريد أحد أن يراه هنا أو في أي مكان عامة، ولكن لم يستوعب عامة من أول لحظة من الذي وقف أمامه، انه هو، حاول التماسك، لكن لحظة الإدراك الأولى جعلته يوجس قليلا، ثم قال له: "ماذا أتى بك إلى هنا؟"

"لا شيء..."... وهو يقترب من عينيه فجأة، أدرك فيها الطبيب أن هذا الرجل مريض نفسي واحتمال كبير عقلي ما جعله يخاف أكثر، "شيء ما وقع مني".

"هنا؟!".

"ليس لك دخل إذًا يا دكتور".

كره لقبه بسببه، "حسنا، سلام"...

"لاء، سلام ماذا؟..."، وهو يلوح بالمطواة الذي في يده، فمن خوف الطبيب ضربه ضربة أفقدته الوعي، بعد أن أمسك ذراعه في حركة خاطفة لم يتدرب إلا عليها، ولواها له وضربه في كتفه ناحية قلبه الأيسر ولكن الضربة كانت شديدة من خوفه فقد ضربها وهو مغمض العينين فأفقدته الوعي، قلق الطبيب لعله مريض قلب، نسى من خوفه وقد كان من المفترض أن يضربها من ناحية اليمين قليلا أو من ناحية اليمين عامة، ومع لوي ذراعه الأيسر أفقدته الوعي، تفقده الطبيب الذي وجد نبضه عشرة على مائة، "ما هذا النبض الغريب؟"، حمله فهو يحمل الأموات دائما، ورغم سعادته بانتصاره إلا انه خاف أنه قد يكون على وشك الموت أو الإفاقة الإثنين أسوأ من بعضهما، أول مرة يكره أن يفيق أحدهم، "لا يهم، المهم أن أصل به إلى المركز"، وذهب به جريا إلى أقرب مستوصف بعد أن اركبه سيارة الأجرة التي انطلقت به، والذي كان يقرب خمسمائة متر، وضعه على النقالة ولم يتركه، وكلم صديقه، صديقه ماذا! الذي يكون في غيبوبة لا يعلم ماذا يقول، اتصل على مركز الشرطة، وعلى صديقه بالمرة، الذي جاء يجري بسبب اتصال رئيسه به، الذي سلم المكافأة العشرة آلاف جنيها له، لا يعلم ما فائدتهم بعد تعويم الجنية، حتى انه استحى أن يأخذهم وفي نفس الوقت استحى ألا يأخذهم، ولكنه تبرع لهم بها بفك سجن إحدى

الغريمين أو الغريمات والذي قال الضابط له سيعرض عليه الحالات وهو يختار معتز بمعروفه وهو يربت على كتفه ممتنا من أثر الخير الذي يُترك على أي شخص حتى ولو ليس له، فهذا الأثر له طاقة انتشار غريبة وجميلة لكل من حوله، حتى على صاحب الخير نفسه، مبتسما، ثم قال له الضابط (مدحت): "يا ابن الاية، الجنية..."، خبطه الطبيب: "ما لك في ايه؟!"

"أسف، لكن كيف؟"

"هو الذي أجلبه لنفسه"، ضاحكا وبشدة...

ضاحكا معه الضابط مبتسما، "كيف؟"

ضاحكا أكثر لا يستطيع الكلام من غرابة الموقف، حتى أن صديقه لم يستطع تمالك نفسه معه، وظلا يضحكان كثيرا حد كادا أن يسقطا، فأجلسه الطبيب وهو يشده من ذراعه، ولا يزال يضحك حتى أحمر وجهه وشعر ببعض الصداع هو وصديقه، وفجأة جاءهم رئيسه، "ما بك يا ضابط (مدحت)؟ اتفضل قوم ر ما لديك"، وهو يشيح بيده إلى داخل غرفة العمليات، اتضح أنه يحتاج عملية قلب مفتوح سريعة، مع اندهاش الطبيب، فقد أيقن أنه مريض قلب، وهو يهز رأسه، "ابن المحظوظة، شوف ربنا يا أخي، سبحان الله"، وهو يحرك رأسه، فدخل إليه مع الضابط، "أرأيت؟ الله سبحانه وتعالى أنقذك بعملية تحتاج ملايين الآن، وأنت لازالت هكذا

تبحث عن مال حرام، وذبحت شاب في مقتبل عمره بسببهم..."، هنا شعر أن (إسماعيل) لابد وأن يحاسب أيضا، مكملا كلامه إليه وهو ينظر له بازدراء واشمئزاز، "مقرف"، وبصق على وجهه، فأخرجه صديقه بعد أن كاد أن ينقض عليه جبروت الرجل في عز تعبه، فهو لا يريد أن يرهقه بل يريده سليم البنية على قدر الإمكان حتى تتم معاقبته بالإعدام شنقا على أفعاله، أشار للطبيب المعالج الذي وصاه الضابط عليه كثيرا، فحرك يديه على عينيه بمعنى، "في عيني، لا تقلق"، حرك الضابط رأسه وأشار إلى الضابط الآخر المقدم (علاء)، "في عيني، لا تقلق"، وأشار إليه لوجود عسكريين أمام الغرفة، ولا أحد ولا يدخل ولا يخرج عليه، محركين رؤوسهم، ذاهبا معهم الضابط (علاء) للتحدث عن هذا.. ذاهبا معهم وتركه صديقه وذهب، "أقابلك غدا إن شاء الله، فأنا أريد النوم وبشدة، ولكن لايزال هذا المدعو (إسماعيل) في ثأري"

"؟!!!... في ثأرك أنت؟!! وما لك أنت بالموضوع؟!!".

"خلاص، أنا شخصنت الموضوع"

"شخصنت؟!!"، ضاحكا...

"ألن يجعلني أتزوج؟!.."

"آه، مبروووك يا عرييييس"، ضاحكا بطريقة كوميدية كمسرحية (لعبة الست)... والآخر يكمل غير منتبه له، "إذًا ماشي".

"اهدأ فقط..."

"لا..."، وهو يحرك رأسه، فقد كاد أن يقول له، "أنت لا تعلم شيئا"، لكن علم أن حسه العملي كضابط سينقح عليه ولن يتركه حتى يتساءل، وهو لا يريد ذلك، وليس فائق لذلك أيضا فهو في مود النوم بالفعل، "يلا، سلام"، وهو يحرك يده بلامبالاة، لا إراديا حتى إنه يفكر أن ينام في المشفى، ولكن طوال ما هذا المجرم هنا فهو يكره المكان الذي هو به تلقائيا، ذاهبا بعيدا فهو يحتاج لمكان يختلي فيه بنفسه، ويكون دافئ ويحتويه في هذه الليلة الباردة أم هو الذي برد؟ ذاهبا بالكاد يرى، محاولا اشغال عقله بعيدا عن بيته الذي أشتاق له كأنه زوجته، "آه"، وهو يغمض عينيه ويهز رأسه منفضا أي أفكار تدخلها من هذا الجانب، وهو ما نغص عليه عيشته الآن، ولكنه سيفكر في الأمر لاحقا، سيفكر في كل شيء لاحقا، "آه، حمدا لله على نعمة سيارات الأجرة، وحمدا لله على كوني رجل في هذه المرحلة من الوقت وفي كل وقت وإلا لن أكون هنا إطلاقا وأريد ان أن أنام حتى في هذا (التاكسي)"...

"هنا يا أستاذ؟".

"دكتور..."

فب نفس الوقت: "يا دكتور"، "آه هنا"

نزل وأخيراً وصل إلى بيته، شعر بالدفء فور دخوله، لا يهم مدى حلاوة وحنين الشعور ولكن، رمى نفسه أو وقع على وجهه في السرير إلى ثاني يوم صباحا.

استيقظ وهو لا يريد أن يسمع من أي شيء أي آخر، أو العكس يعني، رتبوها مثل ما أنتم تريدون، يبدو أنه كان منتشي... بغض النظر، لا يريد أن يسمع شيئا، فقط سيرتاح قليلا لأنه، بل كثيرا، لا، بل إلى الأبد، إلى الأبد؟!! "آه، بالتأكيد فالزواج أبدي مثل الموت بالضبط، ولكنه أحيانا يكون أبدي منعم مثل (الجنة)"، مبتسما لهذا التفكير، ولكنه لايزال يكرهه، "نعم سأتزوج، ولكن عن حب، حب؟!! كيف لأحد مثلي، في عمري هذا أن يحب؟! الحب ولى عن أوطانه، وأصحابه... لكن، لكن... لكن أنا لا أستطيع أن أتزوج، ليس لدي مشاعر لهذا..."، وهو يضع يده المشدودان ببعضهما على عينيه من كثرة يأسه، متنهدا، متعللا، متأففا، "اااععاا،هأ...

أشعر أني أثنى كالحديد... لا،لا.. لا أستطيع أن أتزوج..."، وبدأت بعض غرغرة العين بذلك التنهد، "ولكن، لابد لي، فأنا من ورط نفسي"، داعيا الله تعالى أن يرزقه... ثم تذكر فجأة أن كل هذا بأمر الله تعالى، فكل شيء أدى إلى كل هذا، كل شيء، من بداية تهاوني، أم هذا ذنبي الوحيد؟ نعم، أجل، بلا، أكيد، ذنب واحد أدى إلى هذا، إلى كل شيء، لا، لا، فأنا لم أتحكم فيما حدث من بعد ذلك، ولكن، ولكن إن لم أقل ذلك..."، وهو يخبط على يده الأخرى بقسوة في لوم وعتاب كبيرين لنفسه، "ما كنت أبدا سأتورط بهذه الكلمة، آآعاا، إنه خطئي... كلمة، كلمة... ولكنها ليست مجرد كلمة، إنها (مصير)، اااه"، متنهدا، صارخا مجددا في هم، "تخيل أن هذا همي!"، مصدرا صوت من صدره مستهزئ، "كل شيء من الممكن أن يتحول إلى الهم، اااه... اللهم أغفر لي، وأبعد عني ذنوبي وهمومي التي بسببها، وسامحني وأغفر لي على تهاوني بالأمر، وأنا كنت أعلم ولا أزال بفضلك العظيم علي أنك قادر على كل شيء، اللهم أغفر لي، وأدم علي ذلك الفضل من فضلك العظيم علي، واللهم أغفر لي يا رب العالمين، وأخرجني من هذا برضا من عندك وبرضاك علي يا رب العالمين"، وفجأة خبط الباب وهو يقف يفعل ما في يده من أحشاء، "آه يا للهول"، منفضا يده وماسحها في مريلته، "من؟"

"أنا يا دكتور (أحمد)، (أماني السويسي)".

"(أماني السويسي)!"، مستغربا ما أتى بها إلى هنا، وهو يمسح يده، خلع المريلة، "أجل، يا استاذة (أماني) ثانية واحدة".. وقفت آنسة (أماني) منتظرة، حتى فتح لها الطبيب (أحمد) محرج، "اهلا يا استاذة (أماني)".

"اهلا..."، لم تكن تريد أن ترد، (بصوت منخفض) محرجة أيضا، لم ترد أن تأتي، "آآآ... بابا... بابا يريد منك أن تأتي ليسألك على شيء ما"، وهي تشير بيدها خلفها ناحية الباب الذي هو في العمارة التي خلفها.

"أعطيه رقمي يا أستاذة (أماني)".. حركت (أماني) رأسها بحرج، وهمت لتكتب ولكنها شعرت أنه ليس من الذوق والحكمة والأدب أن ويرسلها أبوها لتجلبه وفي الأخر لا يأتي، عيب عليه، فقد استنكرت هذه المعاملة، فتغيرت نظرتها في الحال، وحاد صوتها بشدة... "اسمع يا دكتور، هكذا لا يصح، أبي ليس رجل صغير معك لترسل له ذلك"، ولكنها أدركت أثناء كلامها، أن الفرق بينه وبين أبيها بالكاد عشر سنين تقريبا أو أقل أيضا، وأكملت، "حتى وإن كان في مثل عمرك من الأصح أن تأتي" وقد تفاجأ الطبيب من هذا التعامل الجريء منها الذي أحبه كثيرا فقد شعر أن عندها حق، ولكن هو ليس خادم لأحد، "قولي لأبوك من يريدني يأتي، أو أقول لك، لا يأتي على الإطلاق"، وأقفل في وجهها الباب بقسوة

نافثا، "ما هذا! ناقصين نحن! ناقصين قلة مزاج وقلة أدب من البني آدمين! أستغفر الله العظيم يا رب... يا رب أرحمني يا رب من الناس هذه، ناقص واحدة مفعوصة هي وأبوها يعلمونا الأدب، تروح تتربى الأول... أنا سأمشي من المنطقة خالص"، ثم تذكر (إسماعيل) وانه يجب أن يوقعه في شر أعماله، يجب أن يأخذ جزاءه، وقرر بيع الشقة وفتح عيادة في القرية، ثم فكر لم ذلك والمجرم سيشهد... ولكن الدليل (كيس الألماس)، فقرر أن ينزل الشقة على الأنترنت في صفحات البيع والشراء، وفورا وجد إشعار مستغربا وجده زوج (أماني) أخته الصغرى، "ييبي، يادي النيلة"، ثم فكر لم لا؟ فكلمه، "ألو يا (ابو حمييد)".

"ألو يا (أبو حمييييد)"، ضاحكان.. "ايه يا عم، لم ستبيع شقتك؟"

"كنت عايز أن أسكن في القرية التي بجانبنا، (قرية أبو رواش)!"

"اه، اه عارفها، لم يا عمي، فيه أحد إذًا يترك المركز ويسكن في القرية؟!".

"روقان وراحة بال"، ولم يرد أن يقول لهم عن تركه للعمل، لعله لايزال سيزاول المهنة، وهو يرى الطبيب الشرعي أحق بهذه المهنة لتفحيصه، وتمحيصه في أدق التفاصيل أكثر من غيره من الأطباء، فهو شامل، وهو

ما جعله يتخصص فيه من الأساس ويتحمس بكل فخر واعتزاز بأن يزاول المهنة بأسرع وقت من ما كان في الكلية، التي أخذت من الكثير، وخمن ماذا! الأحياء هم من جعلوه يتركها، وليس سدى الحمد لله، بل لن تكون سدى كما اعتقد لنفسه بأن القبض على (إسماعيل) وأخذ جزاءه سيكون الأفضل في إنهاء مسيرته، فمباراة اعتزاله ليست مع الأموات، بل مع قاتليهم حتى ولو من أنفسهم، وهذا سيكون أفضل مباراة اعتزال اعتزالها منذ زمن، ومباراة زواجه ستكون أفضل مباراة اعتزال للحياة، فالزواج نهاية للحياة وبداية لأخرى كالولادة، وهو لا يحب الولادة ولا الموت ولكن يبدو أن الحياة الدنيا هكذا، نهاية لحياته هذه، سيستثار من شيء آخر، ولكنه ليس لديه رغبة أو أمل بمعنى أصح، لذلك هي مباراة، ضاحكا بجانبه الأيمن من وجهه مستهزئا من عيشته التي تسيطر عليه سيطرة كاملة حتى أكثر من الجنس الآخر، وهو ما جعله يضحك أكثر، "ها يا دكترة!"

"بفكر أخذ واحدة من هناك".

"واحدة ماذا؟ جثة؟"، ضاحكا بشدة، فلطالما كان شديد الذكاء، وهذا ما يعجبه فيه، رغم صغر سنه، وعلم أنه بالتأكيد رأى الكثير، فالإنسان يولد لا يعلم شيئا، أم يوحي له الله تعالى بالذكاء؟ نفض رأسه من شروده

المتكرر، "اسمع يا ظريف"، رغم أن المزاح أعجبه فهو ظريف حقا، بمعنى الكلمة، "ستشتري الشقة أم لا؟"

"عندي المشتري، سيموت على شقة"

"من؟"

"أختك، هو فيه غيرها!"

"طب يا ظريف كل الظرف.."، ضاحكا الأستاذ (أحمد باشا)... "لا أعلم كيف تتحملك أختي، الله يكون في عونها"، ضاحكا الأستاذ (أحمد)، مكملا الطبيب (أحمد)، "خلاص، روا متى قادمون وأنا في انتظاركم، لكن سريعا".

"قادمون الآن، تعالى نروح للشهر العقاري على طول".

"طب تمام، روا قادمون متى وأنا معكم".

"حسنا، كلمها وروا أنتم".

"حسنا".

"حسنا، سلام، أخيرا المكالمة الخراء هذه ستنتهي"، مازحا معه

"أعلم أنه من وراء قلبك"، ضاحكا بشدة من مزاحه معه.

"أبدا، والذي نفسي بيده".

"مممم! طب لا تقسم طب".

"طب هيا أغرب من هنا، هيا، سنرش المياه"، ضاحكا "المياه! جمع ها؟"، ضاحكا أكثر، فأقفل الطبيب (أحمد) الخط مكملا مزاحه الذي أعجب نسيبه بشدة، مكملا معه مزاحه برسالة، "سنتقابل، أين ستذهب مني 😁🤭😝"، ضاحكا الطبيب (أحمد)، فهو يحب هذا الرجل من بين الكل حقا، ويشعر انه أخيه الصغير.

ذهب إليه المهندس (أحمد باشا)، سلم عليه بصداقة حميمية صادقة، سلم عليه الطبيب (أحمد)، واحتضنه، "ايه؟"، مبتسما، "ما الأخبار؟"، وهو يسلم على أخته المبتسمة له بنظارتها الشمسية (high copy)، "هيا بنا"، وهي تشير إلى الداخل برأسها مبتسمة، فهو يحبها ويشعر انها ابنته رغم أن الفرق بينهما سبع سنين أو أكثر قليلا، "هيا بنا"، يمازحها وهي تمشي بينهما، "ما بك! من أنى لك هذا؟ أم تكوني قلبتيه"، ضربته ضاحكة... "هو كان يتقلب بمفرده".

ضاحكا، "هو مات لوحده"، فضحكا سريعا، فنظر إليهما (أحمد) مبتسما، فابتسم له الطبيب، وذهبا حتى يجدا مكان لامرأته الحبلى.

ذهبت معه لترى ما يجب فعله... أنهت الأمور وانتهوا... ذهبا معا حتى يروا المكان الذي سيشترونه مباشرة، لم يأخذ الوقت نصف ساعة أو أكثر حتى انتبهوا إلى المكان الذي يرغب به الطبيب، إنه أمام بيت (إسماعيل) للزوجية مباشرة، لا يعلم ما هذه الصدفة والاقدار، ولكن هو يقدر حقا من الله تعالى هذه الأقدار، أم هي أقدار زوجته المستقبلية التي لا يزال لا يشعر بأي شيء ناحيتها حتى الآن، لكن لا بأس، الله أعلم، وهو يضع يده في جيبه وينظر إلى (إسماعيل) الذي يقف أمام البيت في هذا الوقت من زواجه، وهو يبتسم للهاجس الذي جاء به، "أنه ربما أن تكون قد طردته زوجته المصون، المصون!"، سخرية من أمرها وأمره، جاءته (أم إسماعيل)، "هذه المرأة، جيد من (إسماعيل) أنه كذلك، وإلا كان لابد من قتلها... توقف"...

"أهلا يا دكتور".

كان سيدير وجهه، وتنظر لها أخته وزوجها مبتسمان من طريقتها المرحة كما يظنان، "أهلا".

"خير! في حاجة؟"

"خليك في حالك"، تفاجأت (أماني) من نظرة أخيها، وزوجها...

وهي تضم ذراعيها إلى صدرها، "خير! لتكون محتاج حاجة ولا حاجة؟".

"لاء..."

فأشار الرجل الصعيدي إليها، "لا تقلقي يا (أم إسماعيل) الدكتور سيفتح عيادة هنا"، لم يكن الأمر كذلك، تورط الطبيب بالأمر واستغربت (أماني) لكن سرعان ما تركت الأمر ب "يمكن"، نظر لها زوجها، فحركت له رأسها بوجهها بأنها لا تعلم... فرفع الدكتور رأسه شامتا وحرك رأسه رافعا أحد حاجبيه وينزل الآخر، فنظرت له (ثابرة) باحتقار، "حقا؟!"

"لاء، بل سأسكن هنا، أمام ابنك العليل هذا"، وهو يشير إليه

"أقسم ما أحد عليل غيرك".

"اخرسي يا ست انت"، اسكتها الطبيب بأن لا تتحدث معها، فهي لا تستحق أن تنزل نفسها لهذه المرأة...

"خرسة تشيلك وتشيل..."

"ما تحترمي نفسك قليلا"، جاء (جائب) يجري من علو الصوت، "ما لك يا طبيب؟!"

"اخرس هذه المرأة واحكمها أفضل".

"خرسة تشيلك انت وأهلك".

"اسكتي".

برقت له عينيها في غضب وكسرة نفس، "يشتمني وتقول لي اخرسي!".

فنظر له، فأكملت له، "عيب في حقك، يشتم زوجتك وأنت واقف هكذا"، فضربه زوجها، فلطمته أخته لا إراديا منها، فلطمتها (ثابرة)، فدفعها الطبيب، فدفعه زوجها، وقامت المعركة حتى انتهت في قسم الشرطة الذي أقسم فيه الطبيب أنه سيسجن ابنها (إسماعيل) وهذا عهد عليه... "سجنوك في المحيط العائم يا بعيد، لا تلاقي بر ولا أرض"، وهي تشيح بيدها في وجه...

"إن شفتِ وجه ابنك مجددا خارج السجن"، وهو يحرك يده على ذقنه علامة على التهديد

"وجهك أنت الذي في السجن، يا دكتور الأموات"... اسكتهم من حولهم، وقال، "أريد أن أدلي بشهادة في قضية القتل التي حدثت منذ شهور".

"أي واحدة؟"

"قضية قتل (تائق الغزالي)".

"اجلس، خذوهم على الحجز... تفضل يا دكتور (أحمد)".

"أهلا وسهلا"، في استغراب واستنكار شديدين من الضابط (مدحت)، قام الطبيب (أحمد) لسلام عليه

بحميمية، "ما هذا المحضر المعمول فيك يا دكتور (أحمد)، من هؤلاء الاوباش؟!"

"لا تقلق..."

"كيف لا أقلق؟! قطع هذا المحضر يا حضرة الضابط (علاء)".

"لا..."

"قطع أنا سأتصرف، قطع"، قطع الضابط (علاء) المحضر، ثم قال، "أمرك يا (مدحت) بيه، ولكن الدكتور (أحمد) هنا للأدلاء بشهادة على (إسماعيل)؟ أليس كذلك، يا دكتور (أحمد)؟!"، استغرب الطبيب (أحمد) بأنه كذلك، "أجل، هو كذلك".

"ادلاء بشهادة!"، وهو ينحني له كأنه قفش مجرما، وأصابه بعض الألم جراء أن خبى عليه الطبيب (أحمد) شيء مهما أو غير، فهو من يقرر هذا، ولكنه خبى عليه الطبيب (أحمد) شيء في قضيته وهذا أصابه ببعض الخيانة في الشعور ناحية الدكتور (أحمد) تأثر من ناحيتها، "ما هذا يا دكتور!"، نظر الطبيب (أحمد) في غضب، ثم تذكر، "ألا يوجد دليل على هذا؟".

"دليل على ماذا بالضبط يا دكتور؟".

"على ما فرغته من كاميرات مراقبة الزيارات".

"زيارات؟! أنت زرت (إسماعيل) في الحبس؟"، بدون رد، "أسجنه"، لم يفهم الطبيب ونظر حوله اثناء أخذه، وسمعه، "رجع المحضر يا ضابط (علاء) بيه لو سمحت"، مستغربا الطبيب الذي كره فعلته، "...." لدرجة انه لم يستطع قول شيء من صدمته، "رجع المحضر... أنه في ساعته وتاريخه، أكتب الساعة والتاريخ..."، وهو يشير للضابط (علاء)...

وأثناء ذلك جاء الضابط المقدم (جابر الوحش) تعظيم سلام له من الضابط (علاء) وباقية الضباط، جاء الضابط المقدم (علاء) (جابر الوحش)، "ها يا ابني أريني"، وهو يرتدي النظارة، ويقرأ المحضر، "كيف تسجنون هذا؟! هاتوه لي"، لم يتكلم الضابط (مدحت) لاوي فمه، فهو فقط قرص أذنه لعدم إخباره وسيظل مستاء منه، ولا يعلم أيفقد الثقة به أم ليس بعد؟...

جاءه الطبيب (أحمد): "اهلا..."، وهو يشير له المقدم للجلوس... حرك له رأسه للجلوس، ثم قال وهو ينظر لصديقه بشفقة كرهها كاد يبكي منها، "آ أنا كنت جاي لأشهد على هذه الولية"، وهو يشير إلى الخارج ناحية الباب بإصبعه خلفه...

"تشهد بماذا يا سيادة الطبيب؟"

"أشهد إن المتهم، أو الذي كان متهما يعني، كان يعلم..."، قاطعه الضابط (مدحت)، "يقصد سيادتك أنه وجد ما كان يبحث عنه المتهم (أبو زيد)..."

"ط"، فنظر له بغضب وعدم رضا، "منذ متى ونحن نقاطع شاهد!".

نظر له الطبيب، "آآه، آه، وجدته".

"وجدت ماذا يا طبيب (أحمد)؟"، وهو متضايق من طريقة تحويل الكلام، ثم نظر إلى الضابط (مدحت)، "شوف لي باقية من في الحجز، يا حضرة الضابط (مدحت)"، حرك الضابط (مدحت) نفسه للأمام مستأذنا وذهب وهو ينظر لصديقه بغضب لاوي فمه...

"تفضل يا دكتور (أحمد)، وجدت ما كان يبحث عنه المتهم (أبو زيد)، أين؟".

بدأ الارتباك عليه: "آآ... مع (إسماعيل العليل)"

"(إسماعيل العليل)؟!... آه الذي كان متهما يعني".

"أجل يا سيدي..."

"أجل يا سيدي! يا سلام ع التقوى"، وهو يحرك رأسه باستهزاء...

ابتسم الطبيب، فهو يحب ردود الفعل السريعة معه، لذلك هو والضابط (مدحت) أصدقاء إلى الآن، ولن

يحدث أن هذا المقدم سيكون صديقه يوما ما والله أعلم...
"ممم، أكمل، تفضل، المايك معك، بعد؟"

"أن لاقيته؟"

"خلص يا دكتور وإلا سأرجعك الحجز، واعتبرك شريك؟".

"لا،لا، خلاص، الكيس مع (إسماعيل)".

"آه، مع (إسماعيل) أين؟".

"حضرتكم إذًا تستجوبوه هو، وليس أنا".

"ما دليلك على هذا الكلام، يا دكتور (أحمد)؟... نحن نعرفك منذ زمن أنت أحد أفراد هذه المنظومة، منظومة العدالة، ولي الفخر أن أتكلم معك، تفضل".

"ولي الشرف يا حضرة المقدم، هو قال لي".

"هو بنفسه (إسماعيل)؟"

"أجل، بلا"

"أيوجد ما يثبت كلامك؟"

"هاتوه أمامي الآن، أين هو؟ أليس مع أمه؟!"

"لا، عريس جديد بقى"

"عريس جديد وأمه في الحجز!"، ضرب كف بكف...

"لكن لا تقلق سيتم إحضاره إلى هنا الآن، وسيشهد عليه المتهم أيضا"، هنا برقت عينا الطبيب، "أجل، المتهم"، وهو يشير إليه بإعجاز شديد، مستغربا منه المقدم وهو يلف في الورق أمامه، "اذهب الآن حضرتك يا دكتور، أنت وأختك وزوجها، وسنرى هذا، لاحقا، غدا أو أمس، أين تمكث الآن أنت يا دكتور؟"

فكر لثواني، "عند والدتي بيتي القديم، بيت الطبيب (إبراهيم محمد الورداني)"

"حسنا سيتم استدعاءك، أم تنتظر لحين جلبه واستحضاره؟".

"الذي تراه حضرتك".

"حسنا سيتم استدعاءه الآن"، كلم الضابط (علاء) لإحضاره، "لا تقلق، قليلا وسيصل، واجعل أختك وزوجها يذهبون إلى بيوتهم، لا شيء يقلق، أتغديت؟".

"لا داعي..."

"اجلب شطائر الفول والطعمية من محل (عرابي) الذي بجانبنا، ماذا تأكل يا دكتور؟"

"ما تجلبه".

"حسنا، واحد فول واثنين طعمية للطبيب، وواحد فول وثلاث طعمية لأي أحد يأكل زيادة، أكتفي هكذا يا دكتور؟ أم أطلب لك زيادة؟"

"لا، هكذا تمام جدا، شكراً لك".

"حسنا، ما تراه، شكرا، تفضل"، إلى العسكري الواقف أمامه... "أختك وزوجها..."

"لا، لا بأس هم سيجلبون أكل من الخارج، لا بأس".

"أنا طلبت زيادة لأي أحد".

"It's ok، كلك كرم يا سيادة المقدم".

"على ما نأكل..."، قاطعه دخول أخت الطبيب (أماني) الذي أن رآها وقف لها بجانبها.

"تفضلي، تفضلي، اجلب كرسي يا شاويش (عطية)"، جاء من يشبهه حتى في ضحكته وابتسامته المميزة الطيبة، ضرب السلام، أجلب الكرسي ووضعه، "لسيد الأستاذ (أحمد)، اتفضل يا أستاذ، لنقفل المحضر، من الممكن أن تذهبوا ولا تقلقوا الموضوع منتهي، ولكن أولا أيوجد تنازل عن محاضركما لهم؟"، حرك الطبيب (أحمد) رأسه لهما، حركت أخته فمها في عدم رضا، "حسنا، ولولا انهم لا يستحقون إلا السجن، بعض الاوباش"، حرك الطبيب (أحمد) فمه، قائلا في نفسه، "الصغير!"، "حسنا، حسنا، تفضلوا وأنا سأحصلكما إن شاء الله، مع السلامة".

"مع السلامة، يا أخويا يا حبيبي"، وقبلت رأسه، لا يعلم في من تناكد...ذهبت أخته وزوجها.

جاء (إسماعيل) ومعه الشطائر، أدخله الحجز على ما يأكلوا غداءهم، ومعهم الضابط (علاء) والضابط (مدحت)، بعد أن أقفلوا المكتب عليهم وادوها أكل.

جاء الضابط (مدحت) ضبطه وكتفه وأجلسه بقسوة وإهانة، "اجلس يالا"، بعد أن شده من رقبته، وجلبوا له صديقه المجرم، "ما رأيك؟ إذا قتلك هنا لن نقول له ماذا تفعل، هكذا أو هكذا هو محكوم عليه بالإعدام"، رجع رأس (إسماعيل) قليلا إلى الخلف، "أليس هو من قبض عليه بسببك؟"، لولا أن الرجل لا يستطيع الحراك لكان قتله قبل سابق إنذار حقا، ولكن ابتسم (إسماعيل) بعدم تصديق، فرفع الضابط (مدحت) في وجهه السلاح، بعد استغراب الأخريين، وانتفاضة رئتي الطبيب من هول المفاجأة التي لم تكن على البال ولا على الخاطر من صاحبه المجنون دائما الغير متوقع، وهو ما جعل رئتي (إسماعيل) أيضا ينتفضان أكثر من أي أحد في هذه الجلسة الغريبة، ثم قال، "اهاه.. حسنا، حسنا... ماذا تريدون؟"، ثم شعر بالأمان والتساهل مرة أخرى لأنه في قسم الشرطة بالطبع لن يقتلوه، ولكن لم يشعر بالأمان أيضا لانهم ضباط، من الممكن أن يفعلوا أي شيء عادي، كما شعر منهم ولم يكن يعلم من قبل

حبسه، "انطق يالا"، صاح بوجهه الضابط (أيمن)، شعر أنه بموقف قوة عندما علم أنهم لم يعلموا شيئا بعد، "انطق بماذا؟"، وهو يرفع يده في الهواء...

"انت ستستحمق فيها؟"، وهو يشده من رداءه الطبيب

"ستتتتننضنضمو"، ساخرا، فلكمه الضابط (أيمن)، فأورم وجهه، فأمسكه الضابط (علاء) لتهدئته، "اتركه لا يستحق"، فتركه الضابط (أيمن) بعد أن كاد يهشم وجهه، "لا تستعجل يا (أيمن) بيه، نحن سنعلمه ونربيه قليلا، التربية التي لم يرها من أحد"، ثم تركه وذهب، فقلق (إسماعيل)، فقال المجرم (أبوزيد) بصوت يبرز فيه الهوان والتعب والغضب الذي يتسم به مع لهجته الإجرامية التي لا يستطيع التحدث إلا بها، وأراد أن يقوم له ولكن لم يستطع، "انطق يالا، أين الكيس؟"

"وانت ما لك؟"، أدرك هنا لهوجته وتسرعه وحماقته، الثلاثة معا...

"أاااجل، أين الكيس إذًا؟"، قالها الطبيب بحرص الشامت.

فقال له، "لن أقل لك"، فضربه الضابط (أيمن) مرة أخرى، والتي أدرك أيضا بها حماقته، كاد المجرم يموت شوقا لضربه حتى الإعتراف...

"اعترف يالا"، ثم لكمه مرة أخرى، فجاءه المقدم (جابر) وقرب منه وله وجهه، فأوجس (إسماعيل) منه قليلا، بل كثيرا، "اسمع يالا، قول أحسن لك بدل ما تتعلق من عرقوبك بصحيح كما يقولون، ألست تسمع عنها فقط؟ ستراها واقع يا روح أمك، اخلص"، وشده من ملابسه...

"حسنا، حسنا... آآآ... مع هذا الرجل، أعطيته إياه"، قرر أن يقول مثل ما تذكره من صديقه القتيل.

"كذاب"، وقام ليضربه ولكن قلبه إنهار، فأخذوه المشفى مجددا سريعا، "مع الاهتمام به بقدر الإمكان هذا الرجل محكوم عليه بالإعدام إياكم وأن تقتلوه"، مع ضحك الباقية على هذه السخرية، "سأعدمكم بداله، الحبل بقى له كثير لم يتعلق فيه أحد"، ثم نظر بحدة وفجأة إلى (إسماعيل) الذي خاف حقا، وشعر أن الأمر حقيقي، "ماذا تريدون؟ الكيس؟ ليس معي، بل معه"، فضربه الضابط (أيمن) مرة أخرى، فأمسكه الضابط (جابر) وقال، "سأخلي سبيله..."

"ماذذا؟!"، قاطعه الطبيب، هكذا سيخسر مباراة اعتزاله كما أسماها، "كان يجب التبليغ فور معرفتي"، هذا ما شعره، "دائما أحقر من الأوضاع الصغيرة، بل هى ليست صغيرة على الإطلاق، بل تراكمات"، بحدة أقل من المعتاد بسبب الندم في آخر كلمتين له بكل آسف

شديد على لا مبالاته، في الأوقات المهمة السريعة التي يحبها ويحب الاهتمام بها فقط.

ردا عليه المقدم (جابر): "ليس عليه شيء".

"هذا قتل الولد!".

"لا..."

"اخرس"، اخرسه المقدم، "ليس عليه شيء يا سيادة الطبيب"، وهو ينظر إليه بستر شديد بأنه هو الذي يجب أن يكون مكانه هنا، فحرك الطبيب فمه بوسع في يأس، "حسنا، عندك حق، هكذا إذًا ليس لديك شيء ضدي؟"

"كان يجب".

"ماذا؟!"، فنظر لهم (إسماعيل) مبتسما بقليل من الشماتة، كثير من الحماس، ولكن جره العسكري للخارج، ولكنه أراد حقا وبشدة معرفة الوضع، فرجع ثانية، "آأنا ممكن أشهد عليه، أليس هو من أجلبني هنا؟"، فأمسكه الطبيب من رداءه، "أجل، أجل بان واظهر عليك الأمان، أليس أنت من أمسكتني هكذا لأقول لك على مكان الكيس؟".

"أقعدوه، بسرعة"، هذه المرة من ضربه المقدم (الوحش) كما جاء من اسمه، فأنزف (إسماعيل) من أنفه، فأمسكه الطبيب من أنفه وأوقف النزيف، وقال، "من الممكن أن اتركك تنزف حتى الموت، ولن يشعر

أحد بك، ما رأيك؟"، فرفع (إسماعيل) يده موافقا عليه، بصوت مكتوم، مزكوم، "حسنا، حسنا"، فرفع له الطبيب الذراع الأيسر بلويه، وقال، "أتدري لماذا المجرم في هذه الحالة؟ هذا لأني أجلبت له ثقب في القلب بهذه الحركة"، لم يصدق (إسماعيل)، ولكنه صدق لما رآه منه... فلقد أستغل الطبيب جهل الجميع في الطب بشكل أو بآخر في كل الأوقات إذا أراد أو انتبه أو احتاج لذلك، وليس للجميع، فقال الطبيب، "ومع نزيف أنفك سينتهي الوضع قريبا إن شاء الله، قول يا رب"، ومع زيادة الألم لم يفكر مخه في أي شيء يقوله غير تصديقه الذي لا يجد بد منه لجهله، "حسنا، حسنا، أين تريدو... اا ماذا تريدون؟"

"أجل، هي أين هذه، أين الكيس؟"

"خبيت... اه، اه... آآآ..."

"أين الكيس؟"، مع ضغط أكثر،

من شدة الألم، بدون إرادة، "في.."

"في أين؟"، وهو يجز على أسنانه...

"آه، آه، آه... في الكيس، في الحقيبة".

"أي حقيبة؟"، مع تألمه وجهله شعر الضابط حقا أنه سيقتله، ولكن أوقفه الطبيب (أحمد) وهو يشير إليه بالجلوس، "أخلص".

"آه، آه، حاضر، حاضر، لا أتذكر"، استهتارا بالوضع، فمن غضبه كسر له ذراعه بدون إرادة منه، ومع صريخ (إسماعيل) المدوي والذي لم يسمعه الطبيب حتى الآن وكأنه في غمرة من هذا، لم ينتبه حتى أمسكه الطبيبان المساعدان في المستشفى له اللذان كانا حاضرين مع المتهم في غيبوبته، واللذان جاءا للتقرير اليومي للحالة وكانا معه أثناء حضوره في هذه الجلسات، وجالسان معه لرؤية الوضع في هذا المكان الذي شدهما كثيرا لمعرفة ما قد يحدث، فوجداه قد وكُسر ذراعه، الطبيب كسر ذراع المتهم أو الشاهد أو أيا يكن فقد كسر ذراعه! فقال له الطبيبان، "اهدأ، اهدأ يا دكتور (أحمد)"، هذا غير الاتهام الذي اتهماه به، الذي كان يريد أن يقتله، فقد صدقا كلامه المقنع بشكل كبير، إلا على (إسماعيل) بأنهم مستحيل يقتلونه في قسم الشرطة، لذلك كان يستهين بالوضع دائما، وكُسر ذراعه في الآخر، وهو ما جعله يشعر أنه في خطر وأنهم من الممكن أن يكونوا عصابة حقا، أطباء وضباط، ما أكثر أن يكون من ذلك عصابة! ليقتلوه وليخفوا جثته والأمر دائما، بدأ الرعب يتزايد مع الألم والدموع معهما والهلع معهم كلهم، بدأ يرجع إلى الوراء بجسده وهو يبكي، "أنتم تريدون مني قتلي لذلك، أنتم تريدون ذلك"، وانهار باكيا من بكاءه الأصلي، الفعلي...

"أهدأ، اهدأ"، قال أحد الأطباء الذي اقترب منه، فرُعب (إسماعيل) منه أكثر، فقام وركض ناحية الباب، فأمسكه الضابط (مدحت) بشدة انهار بها (إسماعيل) أكثر، فتركه الضابط (مدحت)، فذهب إليه أحد الأطباء يهدئه، "اهدأ، اهدأ..."، ينظر إلى الطبيب (أحمد) بشفقة على (إسماعيل)، "اهدأ، لن يتركك أحدهم هنا".

"أنا، أنا..."، ثم تركه الطبيب، فخارت قواه وأغشي عليه.

فقام (إسماعيل) وهو خائر القوى ولكن في أمان أكثر، وجد نفسه في المشفى، ذهب راكضا منها، أمسكه الطبيب (أحمد) من ذراعه الذي آلامه كثيرا، "ابتعد، ماذا تريد؟".

"لن أتركك..."

"أنا لا أعلم شيئا، قلت لك أتركني، أتركني"، وهو يجز على أسنانه محاولا التخلص...

"قلت لك لن أتركك، اسمع يالا، أين المال؟"

"مال؟!".

"أهلا، أجل، هكذا أنت تعلم".

"أعلم ماذا! أنتم بقى لكم أكثر من عشرة ساعات استجوابا لي"...

"الرجل سيعدم، لن يعدم وحده".

"ستوفقون رأسين في الحبال!".

"ولد، اسمع يا ولد، أحسن أريك من سيتوفق معه".

"يا عم أتركني، والنبي يا عم".

"ما هذا يا ولد! أنت فاتح بيت؟!".

"عقبى لك"، فلكمه الطبيب، فأمسك (إسماعيل) وجهه وصرخ، "ااه، ابتعد عني، ابتعد"، وهو يزيح يده منه، "ماذا تريد؟ ها؟ قلت لك لا أعلم، لا أعلم"، تجمع الضباط والأطباء والممرضات، "حسنا، حسنا، لنرى يا كذاب، لا تنسى كاميرات السجن التي صورتك وأنت تعترف لي".. هنا شعر (إسماعيل) بالخطر حقا، وبدأ قلبه يخفق ويشعر ببعض الدوار والسخونة أيضا من أثر المضاد الحيوي، فذهب معه الطبيب قائلا، "لا تيأس يا صديقي، سنعلم معا"، ولكنه لم ييأس، هو فقط منبهر بالأمر، كيف لهذا (الإسماعيل العليل) أن يهزمه، ثم فكر (المخبئ)، دائما ما هو في الخفاء سهل على من ليس لديه عقل هكذا مثل (إسماعيل)، إذًا لنبدأ.

اشترى هذا البيت الذي كان سيشتريه فيما قبل، وقال له صاحب البيت السابق، "أن لا يحتك بهذه التي تدعى (ثابرة أم اسماعيل)".

جاءه (بلال) و(أحمد) وباقي الرفاق، "هاي يا دكتور، ماذا؟ ستسكن هنا؟ أم ماذا؟".

"أجل يا (بلال)".

"أجل يا سيدي"، ضاحكين

فقال الطبيب ل(أحمد)، "أريدك أنت... و(بلال)!"، فهو أحس أن (بلال) هو الصاحب هنا، رجل أو ولد جدع ليس منه اثنين، وصحبته لذيذة كما يقولون، فقد كونهم فريقه، واحتمال أن يأخذ زوجة (إسماعيل) أيضا، لا يعلم بعد ليرى، إذا كان منها شيء فلا بأس، فلنرى.

ذهب (بلال) إلى صديقه (أحمد) أخو (لامي) سائلا، "كيف حال أختك اليوم؟"

"بأفضل حال منك!"

"وهي متزوجة من (إسما)؟!"، ضاحكا باستهزاء.

"لتكون أنت أيضا تريد الزواج منها؟".

"أنا!... لا بأس، لم لا؟"، نكاية به، الذي كاد أن يضربه، فجرى منه وهو يضحك ثم أوقف يده فجأة، وقال بعصبية وبلطجة، "أهدا، يالا، أهدا"، وهو يشد يده، قالها (بلال)، ثم فقد (أحمد) أعصابه فضربه، فمسك (بلال) في خناقه، وتشاجرا الاثنين معا، ماعدا الطبيب واقف يراقب الأمر، ثم وضع كرسي أمام البيت الشبه مهدم وتركه وذهب ليجلب الجوزة التي وجدها من الداخل، وبدأ يشرب منها، فتعب فرماها بعيد، ولكنه خاف أن يجدها أحد فيحمل ذنبه، فتركها في بيته العتيق الغريب، وذهب إليهم فوجدهم قد أنهوا المشاجرة بواسطة أخريين، ثم ذهب يريد النوم وبشدة، يريد بعض أمن النعاس، يريد بعض الموت، ذهب بتثاقل يائس شديد، يجر رجليه لا يريد العيش أكثر من ذلك، فالموت يناديه، وما أفضل من أن يناديك الموت فتلبي، مشتاق إليه أكثر من العيش في هذه الحياة، الحمد لله على نعمة الموت والنوم في هذه الحياة وأي إيقاف فيها يرحمنا قليلا مما نحن فيه، فالحقيقة هو لم يريد النوم إلا لتثاقله وتعبه من الحياة في أمر ما فيشعر بهذا النعاس الشديد ذاهبا إلى هذا الملجأ شديد الركن يأوي فيه بكل أمن وسعادة من

الدنيا ومما حصل فيها ومهما سيحصل فيها، لا يهم، مغمضا عينيه في سلام... فناداه (بلال)، "يا دكتور، يا دكتور"، نظر إليه (الطبيب) بتفاجؤ، فهو يريد النوم وبشدة الآن، "ماذا يا (بلال)؟"

"اا... حبيت أقول لك حمدا لله على السلامة"، استغرب الطبيب، "الله يسلمك! من ماذا؟!".

"من السفر، ألم تأتي هنا من سفر شديد!".

"سفر شديد!"، ضاحكا، "سفر شديد ايه يا (بلال)! فهي كل الحكاية عشر دقائق من القسم إلى هنا".

"لا، لم أقصد، سفر شديد من أهلك"، حرك الطبيب، "ماذا تريد يا (بلال)؟"

"انت قلت أنك تريدنا أنا و(أحمد)".

"اه اه، غدا إن شاء الله بعد الظهر نفطر سويا"، وهو يخبط على كتفه.

"بعد الظهر ماذا يا طبيب! نحن نعمل، وفي مدرسة وحوارات كثيرة سعادتك".

"مدرسة! مممم، حسنا كما تري..."، ثم تذكر أنه ال Boss هنا، "غداً إن شاء الله سوف أنادي لكم ولا تقولوا لأحد".

ضاحكا، "أنا بدأت أقلق من "لا تقولوا لأحد" هذه".

ضاحكا الطبيب، "لا تقلق، المهم (إسماعيل) لا يعلم".

"لا تقلق، (إسما)! (إسما) حتى لو علم لن يعرف، لا تقلق"، ضاحكان، "حسنا يا حبيبي، مع السلامة".

"مع السلامة يا دكتور، أنا في الخدمة، أنا والواد (أحمد) أي حاجة ضد (إسماعيل)...".

حرك الطبيب فمه بابتسامة، "مع السلامة"، فحرك (بلال) يده وذهب.

دخل الطبيب بيده مهلك، متعب، لا يعلم ما به سوى أنه يريد أكلة هنية وطعام شهي ونوم هنيء، ذهب لينام كعادته عندما يرمي نفسه على الوسائد من حوله ولكن هنا لم يسعه الوقت لذلك، فنام فورا وهو يعلم انه بالتأكيد في تلك الحالة سوف يصاب بغيبوبة عاجلة ولن يستيقظ إلا بعد منتصف الليل كما ينتفض دائما من كوابيسه التي تلاحقه دائما أينما ذهب بسبب تفكيره الزائد عن اللزوم، فكم تمنى الوصول إلى النفس المطمئنة التي ينعم بها صاحبها ويطمئن مهما كان يحدث حوله أم هي مراحل؟ الله أع..ل..م"، وغط في نوم عميق بلا داع.

استيقظ الطبيب (أحمد) من نومه مطمئنا هذه المرة، ذهب مسرعا إلى (إسماعيل) يراقبه، فوجده يأكل القصب كعادته فاشمئز منه كما كل ما يراه فهو يكره رؤيته حقا، "اه، هذا الولد"، ثم تذكر انه ربما، من الممكن أن يكون وضع الكيس في جيبه فهذا (إسماعيل) عادي، وجاءته فكرة بأن يراقب تحركاته، دائما تحركات المرء تنوه عن نمط ما يعيشه من الممكن أن نستنبط بل نعرف عنه كل شيء حتى كيف يفكر...

جلس هو الآخر يقزقز في القصب أمامه وهو ينظر إليه، شعر بالريبة من نفسه، "لا، هذا لا ينفع هكذا"، ذهب من وراء شباكه وأخذ معه بطانية وكرسي ونام عليه وهو يفرد قدمه أمامه وهو مطفئ الأنوار كاملة وجلس ينظر إليه حتى شعر بالنعاس ففوق نفسه وجلب عصير الاسموزي الكوكتيل الذي يحبه بل يعشقه كثيرا وجلس يشرب من الشفاطة خاصته التي يحب أن يشرب بها وتركه، ثم ذهب ليرى كم الوقت الآن فوجدها الثانية بعد منتصف الليل، "الله يخرب بيتك يا (إسماعيل)"، فوجدها فرصة أن يذهب إليه ليرى ما به من هم... ذهب إليه فوجده (إسماعيل) خلفه والذي فزع كثيرا كأنه رأى مارد من نار، فأمسك فمه الطبيب، "اخرس، اخرس قليلا، أنا قادم لأساعدك، يبدو عليك المرض،

تعالى معي سأكشف عليك"، ذهب معه (إسماعيل) وهو قلق كثيرا، فأصبح بعد ما رآه من قتل (تائق) يقلق كثيرا من أي بني آدم، فشده الطبيب من يده ليوهمه بمرضه، "من أين جئت يا (إسماعيل)؟"، وهو يكشف عليه بتوهم شديد..

"ماذا؟!"

"من أين جئت؟ يبدو عليك إصابتك بداء بكتيري معدي".

"معدي!"، وهو ينفض نفسه...

"أنت المريض يا (إسماعيل)..."، تنفس الطبيب في بعض الضيق...

"اه، أسف، ولكن أنت..."

"لا، تقلق علي، فأنا الطبيب، سأعالج نفسي، ولكن أنت من أين جئت؟"

"من الداخل"، وهو يشير إلى الداخل...

"لا أقصد من قبل، على مدار يومك؟".

"في الداخل، في الداخل، في الداخل"، وهو يشير على عدة أماكن في المنطقة.

"وأنت لا تأتي إلا منهم؟ أم ذهبت لمكان جديد اليوم؟".

"لا، لا أماكن... لم تسأل كل هذه الأسئلة يا دكتور؟"

"لأعلم من أين المرض حتى لا يصيب أحد آخر".

"لا تقلق يا دكتور، لن يصيب أحد آخر، ولن أتعامل مع أحد حتى لا أصيبه".

"لا، لا تقول لأحد".

"لماذا؟ عادي".

"لا، سيقرفون منك".

"لا أهتم".

"وسيبتعدون عنك وتكون منبوذا".

"لماذا؟".

"لا تقول ما سيعيبك لأحد حتى لا ينظر إليك بهذا العيب للأبد".

"للأبد! لماذا؟ ألن أشفى منه؟".

"إن شاء الله ستشفى يا (إسماعيل) وللأبد، حتى لا أتمنى أن أراك في طريقي مجددا"، قال هذه الجملة الأخيرة سرا في نفسه وهو يجز على أسنانه من الغيظ، "فقط لا تقول فهذا عيب عليك، يكفي ما بك في أعينهم"، حرك (إسماعيل) رأسه بعدم اقتناعه ولكنه وافقه حتى لا يحدث نقاشا آخر، "حسن يا دكتور أنا ذاهب ألا تريد شيئا آخر غير هذه البكتريا المعدية المريبة؟".

"نظف ما حولك".

"حسن يا دكتور، شكرا، سلام".

"سلام". جلس الطبيب يفكر، إذًا هو في تلك الأماكن، ثم تذكر ربما يكون قد دفنه في أرضه، "هفف، أنا سأتزوج إكمالا ليأسي وأحزاني وخلاص، وأي واحدة تجيء أمامي تكملة لعقابي من الحياة"، ثم ذهب ورمى نفسه على المرتبة في ظلام شديد يائس، وأغمض عينيه وهو يشعر بأنه ليس هنا، ليس في هذه الحياة، ولا يريد، ذهب خارجا، ثم رجع ثانية في هذا البرد القارس، "آه، ما هذا البرد"، وشعر انه يريد مدفأة من نار حقا في هذه الليالي، "اه، يا رَبِّ، أحرق نفسي يعني لكي اتدفأ".

"بعيد الشر عنك"، نظر مفزوعا، إمرأة!! ما هذا؟ لا، لا تقول لي أن هذه قدري جاء مثل كان سيقول (الجني) ولكنه توقف قبل قولها لشعوره بأنه لا يجوز، "من أنت؟!".

"أنا قدرك".

"ما هذه الصراحة والوضاحة! ليس معقول"، في سره... "قدري كيف يعني؟!"

"قدرك..."

قاطعها، "ولماذا تمسكين فانوسا؟"، "ما هذا الجو والحوار!"، وهو ينظر حوله مستغربا.

"لأتدفأ... ألم تقل أنك..."، ثم قالت، "ماذا تريد يا دكتور؟".

"وأنت ما لك؟ ليس لك دخل".

"ألن... ستتزوج".

"وأنت من إذًا، العرافة؟".

"تعالى يا دكتور، انظر"، نظر، وجد فتحة في الجدار تخرج كل الأصوات، "لا تتكلم كثيرا يا دكتور".

"أنا لن أتكلم خالص"، بغضب ويأس قالها.

"لماذا تغضب يا دكتور؟ أم إنك لا تريد الزواج؟".

"وأنت كيف سمعتيني؟"

"أنا أجلس هنا بعد الظهر"، فنظر حوله باستهزاء، لم يعجبها الغباء أو المزاح أيهما أقرب فهو غباء أصلا حتى لو كان مزاح، فنظرت له نظرة عدم رضا بمعنى يا ظريف ثم تركته ومشيت، "حسنا، حسنا"، فوجد نفسه يلفها من ذراعيها، فابتعدت وهي تغضب، "ماذا يا دكتور؟ لا، اسمع..."

"خلاص، خلاص، أنت ستعملين لي فضيحة!".

"الفضيحة للبنية وليست للرجل".

"حسنا يا بنية، ماذا تريدين الآن؟"

"أنا قدرك، أنا مريت من هنا بالصدفة لأجد المصباح اللعين..."

"اللعين!"

"أسفة لم أقصد، أو يمكن لا أعلم، ما يمكن تتطلع قدر شر".

"طب اذهبي من هنا"، وهو يلفها بغرور وعصبية.

"ثانية، ثانية تضع يدك علي، والله، لا تجعلني أقسم أني سأبطحك بهذا الفانوس على رأسك اولع فيك".

"تولعي في من يا بنية؟ لا تجعليني أعلي صوتي أكثر"، وهي تضع يدها على فمه، "أنا لازما اتزوج من واحد الآن".

"لماذا لازما؟"

"لأن أمي ستعاقبني، ويجب أن تذهب غدا لسد المبلغ المستحق الذي عليها وإلا سيحجزون على الأرض، وأنا لازما اتزوج الآن على الأكثر لأستطيع صرف منحة الزواج التي يعطونها لمن أهله أو والده متوفي، يجب صرفها الآن على الأقل أو الأكثر تقدير أو يكون مهر هذا المبلغ".

"كم المبلغ؟".

"مليون جنية".

"ماذا؟! مهر ماذا الذي بمليون جنية هذه الأيام يا... (بنية) وهو يعمل علامة الأقواس".

"(هدى) اسمي (هدى)، (هدى أحمد اباظة)".

"طب يا ست (هدى)، ما هذا المهر الذي تقولين فيه!".

"لاء، ما هم يريدون جزء من المبلغ، والباقي تقسيط أو جدولة سوف نرى كيف سنقسط لهم الأمر".

"لم هذا المبلغ؟".

"لأنهم يريدون شهادة الوفاة أو تمليك الأرض، ونحن لا نستطيع القراءة ولا الكتابة ويبدو أن الورق ضاع".

"كله؟".

"إي".

"لكن لم يريدوا..."

"للورثة، أعمامي يريدون أن يورثوا أو يأخذوا الأرض بهذه الطريقة، في المزاد"، حرك الطبيب شفتيه لأسفل يفكر في ضيق، ما هذه الورطة! "حسنا يا... (هدى) سوف أتزوجك فقط لقولي ما قولت من قبل..."، تضايقت لهذه الكلمة وقالت، "لولا الحوجة يا دكتور".

"لا، لا، لم أقصد..."

"أو تقصد لم يعد يفرق..."

"لا، لا تغضبي سريعا هكذا يا (هدى)، أنت ذكية ما شاء الله و..."

"خلاص يا دكتور، لولا الحوجة فقط..."

"خلاص يا (هدى)، لم أقصد".

"أو تقصد..."

"هو ايه يا (هدى)! هو تسجيل! ما الذي لم أقصد، أو تقصد! خلاص لم أقصد خلصنا، وإذا قولت أو تقصد ثانية..."

"خلاص يا دكتور، هكذا أو هكذا لم يعد فارق بالنسبة لي انتهينا، هيا بنا".

"إلى أين؟".

"إلى أمي!".

"ومصباحك لاقيته الحمد لله وأنا كنت راجعة لبيتي أصلا، لكن الحمد لله أني سمعتك".

"وأفزعتني".

"تستحق أكثر من ذلك، لولا الكلمة..."، وهي تبرطم بكلامه وهم ماشون، "أصبري، سأقفل هذا الباب أولا"

"يعني هل به شيئا!"، تقليلا من الأمر، حرك وجهه مرة أخرى، "أنت لبط، وأنا لا أحب..."

"اه حقا لا تحب اللبط أحسن، يا رب دائما لا تحب هذا"، وهي تذهب، "لولا الحوجة فقط، لولا الحوجة".

"خلاص يا..."

"(صلاح) اسمي (صلاح) يمكن تفتكر".

مع غضبه، "خلاص يا (صلاح)"، "تظن أني لن أقولها"، في نفسه قالها وهو يبتسم بالإيموجي.

"أنت فظ جدا يا دكتور، ليس عجبا لك أنك لم تتزوج حتى الآن"، ترك يده التي كانت تجره منها ودفعها ولكنه تذكر ما ورط نفسه به شاعرا بالندم أنه يقول ما لا يجب قوله، "ما هذا العهد الذي أخذته على نفسي، ألا يكفي ما أنا به من طبيب شرعي!"، وشعر أنه لن يتكلم إذًا أبدا، ثم ذهب معها، "لا أسمع نفسك طوال الطريق".

"طوال الطريق!"، ضاحكة مستهزئة، "هذا هو البيت"، ظنا منها انه لا يصدق، "هيا ادخل".

"اه، كم المبلغ المستحق أولا؟".

"مائة وثلاثون".

"ألف؟!".

"أم جنية؟!".

"لا قروش يا خفيفة العق...".

"لا، لا قولها، أنت قولت ما أهين لأي إمرأة..."

"أهين!!!..."

"أنت طعنتني في أنوثتي، لولا الحوجة لكنت صفعتك".

"صفعتني! لولا كلامي ما كنت جئت..."

"طب اذهب، تغور الأرض، والله، تغور، تغور كل الدنيا، أذهب نفذ وعدك الذي لن تستطيع مع أي فتاة أخرى لكن أنا الأولى لذلك لن تستطيع، أذهب"، وهي تدفعه وتطرق الباب على أمها بالقوة التي كانت تتحكم بها في غضبها على قدر المستطاع...

"حسنا، حسنا..."

"لا حسن، ولا شيء، امش من هنا، امش بدال ما أفضح الدنيا..."

"الفضيحة للبنية يا دكتور".

"ولكن أنت عند بيتي، ألا تلعب الشطرنج ولا ماذا يا دكتور!"، بشماتة تقولها.

"الشطرنج! لا عجب أنك ذكية، بالتأكيد تلعبين أشياء أخرى".

"ألعب كل شيء وأي شيء ودخلت فيه بطولات هنا في المركز"، وهي تشير إلى المركز، أعجب بالأمر قائلا، "أنت جميلة حقا..."، فضربته، فاستغرب وهو يمسك ذراعه، "آه، ما بك؟! لا هذا عاجب ولا هذا عاجب!"، وهو يتذمر، "لم أقصد هذا... أقصد أنك حقا جميلة

ولولا ما أنا فيه لكان، سيكون بالطبع الوضع أفضل من ذلك... وستنشأ بيننا قصة حب عميقة، أعمق من الدنيا وما فيها"، وهو يغازلها بحب لم يعلم انها ستطلع منه، ولكنه رأى أن الحب أحيانا ذكاء وليس له علاقة بالحب بتاتا، فالحب عمق لا يوجد في هذه الحياة، فهو أعمق من أن يقال وكأنه يبتلع هذه الدنيا بأكملها إذا كان حب عميقا وحقيقا بالطبع وتكون الدنيا في لحظتها لا شيء يذكر بجانبه وكأنه هو من يختلق الدنيا، ثم رأته هكذا فاحمرت وجنتاها وقالت: "إذًا هيا بنا... ولكن توقف"، بفزع كأنها ستوقظ أحدا...

قائلا: "ماذا؟ ماذا بك؟"، كل مرة لا يحب غموضها ولا يرتاح لفجاءاتها...

"انتظر، يجب أن أخبر والدتي... ماما، ماما..".

"نعم يا (هدى)!".

"استيقظي، فمعي ضيف سيحل لنا مصيبتنا غدا إن شاء الله"، لم يرد أن توصفه هكذا، فهذا دوره ليذهب؟ أم ليس لرجل حق في هذه الكرامة أيضا! ولكنه قال لها وهو يمسكها من ذراعها بلوم وعتاب كاد أن يهرسه دون أن يشعر وهي تتأوه، "آه، ما لك..."

"ما هذا الذي سأحل لكم مصيبتكم غدا هذه! إن شاء الله؟"

"آه، أتركني، اترك ذراعي... ابتعد"، وهي تدفعه لبعيد...

"ما بك؟ أنا ذاهب..."، وهو يمشي بعيدا، "أنا ليس علي حكم لذلك".

"حسنا، لا تغضب مني، حسنا، أنا أحبك يا دكتور"...

"ماذا!"، فاجأته كثيرا وأخجلته أكثر هذه الكلمة، لم يعلم أن تأثيرها ساحر لهذه الدرجة وحتى وإن قيلت في أكثر الأماكن والمواقف مآسي، فذهب خجلا محمرا الوجه أكثر من هذه الطماطم التي بجانبه، فذهب مسرعا، "ما بك يا دكتور؟!"، وهي تجري وراءه حتى وقفت أمامه، "ما بك يا دكتور؟"، خجلة أكثر منه...

"ما بك أنت يا كاذبة؟"، أغضبتها كثيرا بل جرحتها وأخجلتها، لم يعد يهتم لمشاعرها فهو لا يحب الكذب، فهو لم يتعامل إلا مع الموت الصادق وأن الأحياء البشر فقط من بين سائر المخلوقات هم من يكذبون ولا يستطيعون ذلك إلا من خلال الموت فقط، الموت الذي يسوقهم إليه ليشرحهم أحيانا كثيرة بل أكثر إن لم يعتبره دائما إلا في بعض الأحيان القليلة النادرة، الذي يسوقهم إليه هو الكذب لذلك فهو يكره كثيرا، أكثر من أي شيء في الوجود لأنه بداية كل شيء هالك في هذه الحياة، "ما بك يا كاذبة؟"،باشمئزاز يقولها، "ابتعدي عن طريقي"، أحزنها كثيرا هذا الأمر بل جرحها جرح كما ستوصفه

هي أعمق من هذا الحب الذي يتكلم عليه، وإذا كان الجرح أعمق من الحب إذًا فلقد انتهى الأمر، فقالت له وهي تنهمر دموعها: "أنا... لا أحبك الآن، صدق ما شئت، أيهما"، وتركته وذهبت. لا يعلم ما هذا الأمر، لا يعلم الغموض الذي يحيط حياته، ولكن ما يعلمه أنه كما قالت هذه ال (هدى)، "أجل فهي للأسف أم لا أعلم بع..."، ولكنه تذكر أنه أبدا لا يعطي الفرصة مرتين، "لولا، لولا"، قائلا في نفسه في غيظ، راجعا إليها، إلى بيتها كارها وهو يزمجر، طرق الباب بلطف مكلف إلى أبعد الحدود بالكاد، "آه، يا رب..."، فتحت له فورا، بسرعة لم يتوقعها، ظن أنه قد يكون جرحها كما وصفت جرح أعمق من هذا الحب الذي لم يتكلم عليه أنه لم يحدث، "ما هذا؟ ما هذا الذي أنا به؟ يكفي أقدار، أستغفرك رَبِّ، استغفرك كثيرا، لعله خير"، وتذكر وهو يحَيّ الحاجة مجبرا أية "﴿فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾، والبنت حلوة وليست وحشة، وآنسة..."، وهو يقول ذلك وجد نفسه مبتسما لها لا إراديا خجلا، محبا، قائلا كما وصفته، "أنا الذي سأحل مصيبتكم غدا إن شاء الله"، لا بأس فالوضع كله لا يحتمل الحساسية فهو لم يكن فيه حميمية مسبقا لهذه الحساسية، فقد علم لم تحسست هي كما كانت تقول "تحبني"، "لكن لا أعلم لم جعلتها أنا... لا، بل كان لا بد

هي من أتت وليس أنا، كيف سمعتني؟"، ثم فجأة وقف وقال في حزم: "أنا لا أحب الكاذبين، أخبريني..."

فقالت أمها (آمال) مقاطعة: "أجلس يا دكتور، (هدى) ليست ابنتي الوحيدة، ولكن الصغرى وليس لي غيرها، نحن أصدقاء، أصدقاء الأصدقاء ليس لنا إلا بعضنا، ولم أر مثلك منذ موت والدها وتمنيتك لها زوجا، وقلت لها لن يكون غيره حبيبا لك، لأطمئن عليها من شرور الدنيا، فهي حبيبتي وليس لي غيرها، وأنت حبيب حبيبتي كما أقررت ذلك على نفسي ونفسها وتمنيتك من الله عز وجل..."

"نعم؟! هو انت؟"، حرك رأسه متفهما لم كل هذا في قدره قائلا، "أبشري يا حاجة لقد سمع الله دعاءكما، لا أعلم لم الناس تتمنى ما ليس لها؟..."، مقاطعا

قاطعته هي الأخرى، "ما ليس لها! ءأنت..."

"لا، فقد ساقني الله تعالى إليكما، ولكن..."

"نحن لم نكذب..."، ثم غمزتها، "ماذا قلت له؟"، في نهر، قالت، "آآ..."

قاطعها ولا يزال واقفا، "قالت إنها، إنكم في مصيبة..."

"آه، آه، أجل، أجل يا بني... أجلس"، بغضب أكثر أمرته فقد كانت امرأة شديدة أيضا وعصبية وتقاطع في الكلام ظنا منها أنها هي كل شيء، جاء في باله ما كان

على تطبيق التيك توك لفترة وأراد أن يقولها، فقالها في سره وهو لا يطيقهما، "مش قاعدة"، ولكن انتبه إلى انه في النهاية أمر الله تعالى الذي استجاب لهم، فتوقيرا لهذا جلس قائلا: "تفضلي يا حاجة، وأنا لا أطيق..."، ولكنه توقف لأنه أمر الله تعالى.

قالت (هدى)، "أنا لم أكذب، أنا حقا كنت أجلس..."، بدأت الأمور تضح له منذ بداية اعترافها له بحبها، "لماذا؟".

سكتت: "..."

قائلا: "أجل، لأجلي أليس كذلك، وليس لأنك معتادة..."

"لا، ولأني كنت أجلس فيه من قبل ولكن قبل أن يسكن عم (هاني) فيه"، بتهجم من كثرة إتهامه عليها قالت، "ولكن لا أعلم ما بينك وبين (إسماعيل العليل) فقد تركتك وذهبت، وأوقعت مصباحي الذي عدت بعد نوم أمي لآخذه، وأنت تكلم نفسك وسمعتك من فتحة الجدا..."

"التي فعلتيها أنت؟"

"بالطبع لا..."، وهي تنظر في الجهة الأخرى، "أنت لم تلاحظ البيت جيدا، فالفئران بسبب أرض (إسماعيل) تأكل كل شيء، أنا فقط..."، فوقف هنا وقال: "سأرجع إليكم اقرأوا الفاتحة أجلبوا المأذون أفعلوا ما تشاءون

سأحل لكم مصائبكم كل ما تريدون وأنا سأتزوج ابنتك غدا أو في أي وقت تشاءون، فقط سأرجع لك"، ذهب جريا إلى أرض (إسماعيل) ينظر فيها وهو يكره الفئران والفجر قارب على الإشراف، ووجد ما عمل حاضرا، "أهلا يا (إسماعيل)، يا (إسما)...ووو"، ولكن ليس بعد، من أين تأتي هذه الفئران بهذا الماس العالق بها؟ وجد فأر ميت، "آه"، وهو يكرههم ويقرف منهم، "مضطر أراك"، وجد ما بطنه من ألماس، "اه يا للهول، يا لك من فأر أحمق"، أخرج السبع ماسات من كيس بطنه، وهو قرفان أعمق من أي شيء، "يا للهول... لا بأس، لا بأس، فقط تذكر كيف شرحتهم بعد نوبة هلع بالكاد استطعت فيها فتح ما يمكن إنقاذه لك من الرسوب"، فتح أكثر، "يا للهول أيها الأحمق، كيف سأجمع كل الماسات الآن"، ثم تذكر أن هذا ليس دليل، ثم تذكر أن يأخذ هؤلاء الماسات مع توفير ماسة لديه، ويدسه في باطن أرض (إسماعيل) وهكذا، "اااه، ولكن هكذا أيضا ليس دليل، يجب أن يكون بصماته عليه"، ثم فكر، "لا، لا يوجد حل"، ثم لمعت عينيه في بيته، في إحدى أماكنه الذي أشار له فيهم بالتأكيد أصلا بعض الماسات أو باقيتها فيها، ثم ذهب سريعا بعد الفجر ووضع بعض الماسات فيها وتركها وذهب إلى صديقه في بيته لعلمه أنه لن يستيقظ في الهاتف، فذهب إليه.

رن الجرس، جاءه مستغربا يفتح عين ويقفل الأخرى، "استيقظ يا (مدحت)، فلقد وجدت الألماس"، وكاد أن يريه ما معه ولكنه امتنع في آخر لحظة، ثم قال، "انظر"، وهو يريه آخر ما بقى لديه منها..

"ما هذا؟"، وهو لا يستطيع التركيز...

"إنه بعض الماسات التي وجدتها ولكنها مدشدشة".

"ماذا؟"

"متكسرة يعني".

"أفهم، أفهم..."، وهو يدخله ويريد النوم أكثر، "ماذا تريد الآن؟".

"بلغ الشرطة".

"غدا إن شاء الله كلنا نهرب أنا وأنت وأماني"، ضاحكا مبتسما...

فغضب عليه الطبيب، "أسمع يا رجل..."

في سره، "يا رجل!..."...

ويكمل الطبيب، "إذا لم تأت معي في هذه الحالة أنسى أنك صديق لي إطلاقا"، قالها وهو يتوعد أنه لن يعرفه ثانية أبداً... قائلا له، "ها؟ الآن أم لا، أبدا".

"Now or never".

"بالضبط هكذا".

"حسنا...".

"هذه قضية مهمة لك، إثنان في واحد، فهو هكذا يعتبر شريك".

"لا، هو فقط إختلاس".

"لا، بل سرقة، هذا ماس، ويوجد جريمة قتل".

"تم الحكم فيها وانتهينا".

"لا، فالأقوال غير، فهو هددهم قبلها ورغم ذلك لم يقل (إسماعيل) عنها شيئا واستدرج الولد وأيضا صوره..."، وهنا بدأت عيني الضابط تلمع قليلا، "حسنا"، فقد نسى تماما هذه التفاصيل، ذهب ليرتدي ملابسه وذهب ليتكلم في اللاسلكي، بل تركه وتكلم في مكبر الصوت على الهاتف لكل الضباط بضبط وإحضار وتفتيش كل ما يتعلق بالمدعو (إسماعيل أحمد ثأري)، الآن قبل الفجر، وقبل أذان الفجر بدقائق كان الكل متواجد حتى (إسماعيل) الذي كان يبان عليه أنه يريد النوم وبشدة، بشعره الأشعث وقميصه الملطخ وشكله الذابل قائلا، "ماذا هناك؟"، فضربه الأمين على وجهه لكمة، "ألا ترى كل هذا يا متخلف؟".

"ليس لي"، فضربه الضابط (مدحت)، "بالطبع ليس لك... أين الباقي؟"

"باقي ماذا؟"، فضربه مرة أخرى الأمين، فأوقفه الطبيب لشفقته، "حسنا، حسنا، اهدأ... إذًا أين الباقي؟"

"باقي ماذا؟ لا أعلم شيئا"، بانفعال أكبر، فضربه الأمين، فأوقفه الطبيب ثم وجه سؤاله لضابط (مدحت)، "باقي ماذا؟".

"باقي الماس، باقي ماسة"، خفق قلب دكتور (أحمد)، "كيف علمتم؟"...

"لأننا لا نعلم، بل الموثق لدينا أنه تم سرقة قدر ذلك من الماس".

"لعله في بطن إحدى الفئران؟".

"لا، ليس هذا".

"لماذا؟ فأنا وجدتهم في بطن فأر ميت!"، فنظر له الضابط مقتنعا قليلا، ولكنه قال، "لقد جمعناهم كلهم..."

"مستحيل..."

"سيموت منهم من أكلهم..."

"لعلها بقايا الماسة المكسورة التي عثرت عليها؟".

"لا، ليست هذه أيضا، فقد حسبناها، وهي ليست مكسورة كما توقعت، (مدشدشة) كما قلت، بل جزء بسيط منها بسبب بعض الفئران الذين تجمعوا عليها أيضا"، بدا الطبيب يمل غير مقتنع، ولكن المأساة أنهم

حقا عثروا على ماسة مفقودة، معنى هذا أنهم جمعوا كل الأدلة، ثم أراد أن لا يشغل باله، ولكن كيف؟ لا مفر، فهم حقا قد جمعوا الأدلة ولكن هنا تذكر شيئا، "لعلها، لا تؤاخذني يعني... في براز..."

"مشطنا المنطقة كلها يا طبيب (أحمد)، بفئرانها بأهلهم بأبنائهم ببرازهم بكلهم، مشطنا كل شيء"، أذن الفجر...

"هيا نذهب لنصلي"، سريعا قالها لا إراديا كأنه مفر، مستغربا منه لا إراديا أيضا الضابط لمقاطعته فجأة ولهوجته في الأمر ولكنه... ثم قال وهو يضيق عينيه ناحيته، "ما بك؟".

"ألن تصلي؟ ألن نصلي جميعا؟".

فقال، "حسنا"، وهو لا يريد أن يشك فيه... ذهب معه للصلاة، فقال له: "إياك أن..."، ولم يطاوعه قلبه بأن يقولها لصديقه، فأشفق على صديقه الأمر فقال: "لماذا لا نأخذ..."، ثم أقضم الكلام بين شفتيه وقال: "حسنا، كما تريد.."، وأخذه وذهب وقال قائلا: "لا، ليس هذا..."

فقال: "ما هو الذي ليس هذا يا طبيب، يا (أحمد)؟"، فقالها وهو لا يريد أن يأخذ هذا المأخذ على صديقه فالأمر يحزنه حقا ولا يتحمل أن يخوِّنه فهو يعرفه، ولكن...

ثم قال الطبيب وهو يتمالك مشاعره ثم أجهش بالبكاء: "لم أقصد... خذها فقط خذها، أنا سأتزوج وأسافر".

"ستتزوج؟ حقا؟"، فرحا، ولكن الوضع لا يحتمل، ثم قال مهونا عليه رحمة له بما قاله: "لا بأس، هكذا أو هكذا لم نكن سنعلم..."

"ماذا؟! إذًا..."، ثم أدرك هذا التحول المفاجئ، والذي فاجأ صديقه أيضا، "لا، امسك نفسك هكذا ولا تكن هشيما تذرك الرياح..."، أغضبه هذا كثيرا منه، وهو يبتعد عنه بغضب: "انظروا من يتكلم، لا تخاطبني بعد ذلك، امسك الزفت التي ستموتون عليها"، وأصر أن يرميها له في وجهه لعله يرتاح، وهو يعلم أنه سيبحث عنها مثل الحشرة التي تبحث عن طعامها، فلكمه الضابط وقبض عليه، ثم تركه بعد أن أذن الشيخ للصلاة فتركها ودفعه بعيدا بعد أن لكمه وترك الماسة وذهب إلى الصلاة، وترك صديقه في هذه المحنة العصيبة ولم يرم له بالا، أشفق الطبيب أن يترك الماسة فهي الآن على عاتقه، خوفا من الأمر، والصلاة تقام، ذهب هو ليبحث عنها مثل الحشرة في النهاية... والركعة الأولى قاربت على الانتهاء وهو لا يعلم أيتركها ويذهب أم يستمر في البحث، ثم ذهب بعد احساسه بالذنب الفظيع الذي أحاطه عندما أقامت الصلاة، ذاهبا مستغفرا باكيا، يحاول أن يمسح دموعه التي لا يستطيع إلا الانهمار...

ذهب مسرعا، الحمد لله لحق أول ركعة وهو يحاول التماسك ولكن عند سجوده تذكر قول صديقه، "لم نكن لنعلم..."، بكى أكثر لرحمة الله تعالى به وتقبل توبته بتطمأنه بالأمر بالرغم من ترك صلاته وذهابه للبحث عنها، حتى لامس ذقنه الأرض وهو لا يستطيع أن يتوقف حد لاحظ من بجانبه واضعا يده عليه برفق للركعة الثانية، صعد للركعة الثانية واستقام وهو لا يستطيع أن يأخذ نفسه، ولكن تذكر كيف رحمة الله تعالى في التهوين عليه في إحساسه بالذنب منغمسا في الصلاة أكثر.

ذهب ما به قليلا، فوجد صاحبه هو الذي كان يشاركه هذه المشاعر في الصلاة وربت عليه ليقوم، فوجد صديقه نفسه يقول له: "لولا انها ليست من حقي، لكنت اعتبرتها هدية زواجك..."، ثم فجأة قام وقال: "اعتبرها هدية زواجك..."

فوجد صديقه يقول له: "لا، انها ليست من حقي..."، وهنا انتبه أن توبته قبلت فسجد في الأرض باكيا، مغشيا، فقال له صديقه: "لا بأس، لا بأس..."...

فقال له: "أنا الذي سأعطيك هدية..."

"أنت أعطيتني بالفعل الكثير وأريد أن أرده لك..."

"لقد ردته وأكثر..."، وهو يحتضنه بالفرح وقال من فرحته هذا والتي جعلته يسجد فرحا ثانية، لا يستطيع التوقف ثم قال: "أنا فرحي اليوم، الآن، اجمع الكل"، وذهب جريا إلى عروسته وقلبه كاد يخفق من الفرحة وهو لا يستطيع تمالك نفسه منها، يريد أن يذوب شوقا وحبا لله، يريد أن يفعل شيئا عظيما حقا، ثم فجأة وهو في طريقه فرحا مع أول شعاع للشمس وجد الماسة تلمع في ركن من أركان الطريق ناحية الرصيف، سجد لله شكرا في الأرض وذهبا جريا حتى لا يدحرجها الهواء الذي لن يفعل إلى أي ركن آخر، وأمسكها ورفعها مثل الكأس بالفوز بها، ثم وجد صديقه مدحت قائلا: "انظر لقد وجدتها"، وكاد أن يبكي من شدة كرم الله به، فقال له وهو يربت على كتفه، "جيد، احتفظ بها إذًا".

"يا عم قولت لك لن ينفع، امسك".

"قولت لك أنا حاميها ولست حراميها الموضوع انتهى واحتفظ بها، نحن وضعناها في المفقودات كمثلها من الأشياء وانتهى، وقلت لك..."

"أليست هذه أمانة أن تجدها، ترجعها"، فحرك فمه لعلمه انها لن تؤثر على شيء وبالرغم من ذلك لا يريد أي ذنوب، ثم قال متنهدا، "هات، نعمل الذي علينا لله"، ثم

فجأة قال: "لكننا وجدنا..." وتركها وهو يبحث في هاتفه، "لا، لا، ليست هي... حسنا يا صديقي ألف مبروك بالرفاء والبنين إن شاء الله، وتكون وجه السعد عليك هكذا إن شاء الله".

"إن شاء الله يا صديقي"، وهم يحتضنان بعضهما، "الحق أنا إذًا، على شان..."

"حسنا، حسنا، اذهب... وأنا سأجمع الناس..."

"يا خراشي! هتلم علي الناس"، وهو يداري نفسه بثوبه بأسلوب مازح، ضاحكان، "حسنا، سلام".

"سلام".

ذهب إلى بيت عروسته المهداة له من رب العالمين، كما أطلق عليها وسيغازلها بها باقية عمرهما والتي سيخجلها في كل مرة يقولها لها فيها بخجل الحب الذي يخجل تواضع المحب، مع قطعة البسبوسة التي سيأتيها لها في كل مرة يقولها لها فيها وهي ستخجل أكثر، كم هو رومانسي وحساس في نظرها، فقد جلب لها كل ما

تحبه وكل ما تسمعه، فهي تشعر كلما زاد الحب كلما كان ملموسا ومهذبا في قوله وتعامله وشعوره التي يجب أن تشعر به، ليس فقط أن تشعر به في قلبها بل وأيضا تستشعره حواسها التي ستشهد عليها كم هذا كان جميلا ومحبا ايضا وفعلا...

ذهب إليها محبا، ذاهبا... وجد أخوالها وأعمامها واقفين مع بعضهم البعض ظنا منه أنهم فعلوا كذلك له، لكن لا، لم يكن كذلك... ذهبوا مع بعضهم ولم يكن أحدهم يطيق الآخر، فقال لهم: "ما بكم؟"، بغضب قالها...

فقال أحد أعمامها، وهو يضع يده على كتفه باستهزاء، الذي أنزلها له الطبيب ووقف له وجها لوجه وفجأة توجهوا صوبه باقية أعمامها: "وأنت من إذًا؟"

"أنا الطبيب (أحمد الورداني)..."

"صاحب المشرحة؟ ادخل إذًا لتستلقي دورك"، دفعه الطبيب، فوجده الضابط (مدحت) يتشاجر وحيدا مع عدد كبير من الأفراد مستغربا، وامرأة تصرخ هي وابنتها، فقال: "(هدى بنت أحمد اباظة)؟"، مستغربا، وسمع الطبيب هذا، ولكنه كان مشغول في هذا القتال، فرفع الضابط (مدحت) مسدسه صوب السماء وضرب طلقة في الجو الذي لم يتأثر إلا هم سادون أذنهم منخفضين قليلا، وقال: "ماذا يا قليل من الحوش؟ اذهبوا

إلى القسم"، جمعهم كلهم على القسم ما عدا الطبيب الذي ذهب معه مترجلا فيما بعد، قائلا له، "يا زين ما فعلت".

"ولكن أنت كيف لك أن تعرف (هدى بنت أباظة)؟"

"كنت سأسألك نفس السؤال! كيف لك أنت أن تعرفها؟".

لم يرد عليه فهو يعرفها كما يعرف أي أحد عادي ليس شرط أن يكون بسبب، "لا أعلم عادي وجدت نفسي أعرفهم عادي".

"كلهم؟"

"عادي يا عم، انت يعني عمرك ما عرفت ناس كدا؟ عادي قبل كدا؟ عادي يعني".

"خلاص يا عم انت ما لك كبرت الموضوع لم؟ أنا كنت أحسب لكم معرفة يعني".

"لاء عادي، الله أعلم، سبحان الله، يمكن على شان ستكون زوجة أخي..."، وهو يمازحه، "سبحان الله".

وهو يحرك رأسه ضاحكا، "سبحان الله"... ثم قال، "المهم ماذا ستفع..."، جاءت (هدى) جريا عليه، "الحقني يا سيدي (أحمد)..."

"بدأنا"، ضاحكا، أحرج صاحبه من كلمة (سيدي) ضاحكا، مبتسما، ثم قال، "نعم يا (هدى)، قولي (أحمد) على طول يا (هدى)، ليس لازما سيدي (أحمد) وشغل الفلاحين هذا".

رفعت له حاجبا ثم قالت: "لا يعجبك شغل الفلاحين ها؟ إذًا لماذا تأتي لتأخذ منهم"

ثم قال مغازلا، "أنت مهداة من الله لي يا (هدودو)..."، شعر الضابط بالسماجة وقال: "أنا سأروح أعدم بدل (أبوزيد) أفضل"، ضاحكان وهي تداري وجهها بطرف الخمار، وضربه الطبيب برفق لإحراجه له وهو محمر الوجه، دامعتين العينتين وهو يمسحهما مبتسما، "الحقك من ايه يا (هدى)؟"

"الطبيب، حضرتك قولت..."

"هو يا كذا، يا كذا يا (هدى)؟ قولت لك (أحمد) عادي أنت أصبحت أو ستكونين إن شاء الله زوجتي يعني، هذا لا ينفع..."، ببعض المزاح في الآخر..

ثم قالت وهي تحرك فمها، "القضية يا سي يا دكتور، يا... أنا لست متعودة بعد، حسنا سأحاول بإذن الله فيما بعد، لكن الآن القضية".

"آه، القضية، لا تقلق فصاحبي الضابط سيضبطها لنا، أم ماذا"، وهو ينظر إليه بمزاح..

"إن شاء الله، إن شاء الله"، وهو ينظر إليه بسخافة، "يا ليتك لم تتزوج".

"ليس بعد".

ردت عليه بكتفها، "باعتبار ما سيكون".. حرك الضابط رأسه في عجب ثم انطلق إلى وجهته، ذهبوا معه كلهم حتى أنهوا الموضوع وأخذ أعمامها المائة ألف من الطبيب بعد أن باع بيته نصفه لهم ونصفه لأعمامها وتشاركوا هذا البيت بعد أن أقسم بترجيعه لها بعد أن تنتهي الغمة ويذهب كل شيء بأمر الله، وبعد أن عقدوا القران ذهبوا جميعا للمباركة ماعدا أعمامها التي لم تدعوهم هم وأخوالها إلا خال واحد، ذهبن جميعا إلى هذا البيت بعد أن زينوه لهما ووضعوا فيه الورود الكثيرة والفراشات الحية التي تباع للتزيين والتي توضع في جرات زجاجية مخرمة من فوق لحين فتحها حتى تطير عليهم مع تطاير الورد الملون والممزوج بالرائحة العطرة اتجاه الرياح فيصبح احتفال مورد مليئا بالفراشات مثلهم وهو واقفان يتم زفهما من أهل المركز أجمعين الذي تم الإعلان فيه أن أخيرا سيتم زواج الطبيب (أحمد الورداني) أشهر طبيب عازب في هذا المركز وحوله أهله التي كادت أن تبكي أمه لولا أن أوقفتها ابنتيها (أماني) و(خابرة) قائلان لها، "أنه لم يكن ليتزوج لولا هذه الطريقة، أنت تعلمين ابنك"، محركة فمها لأسفل غير راضية عن الطريقة التي كان لابد أن يقول لها فيها على الأقل ولكن شعرت ببعض الرضا، المهم أنه تزوج، ولكن لا يزال الأمر يشغلها والذي سيشغلها مدى الحياة غير راضية عن الطريقة وهي

تصفق بلا توقف ولا شعور وبجانبها زوجها الطبيب (إبراهيم الورداني)، بفارق طول رهيب بينهما لذلك معظم أولادهما ليس بالطوال بفراهة مثله قائلا، "ألا تبتسمين؟!"، وهو يبتسم يحيّ الآخرين ويسلم على والد الضابط (مدحت) وباقية المعازيم حتى انتهى الأمر ورجع الكل إلى بيته منهمر مهلك فقد كانت ليلة طويلة قضوها سويا حتى انتهى الأمر... وانحنى لها زوجها وهو يدخلها بعد وصلة رقص رقصوها سويا حتى انتهى بهم الحال على السرير سويا ضاحكان ثم تقلب حتى وضع ذراعه اليمنى عليها قائلا ممازحا، "ما بك إذًا الآن؟"، مبتسما، ثم قالت وهي تقوم بكل حياء ودلال، "لا شيء"، بصوت منخفض فيه حنان وحياء ثم جرت بعيدا فجرى وراءها أمسكها ثم احتضنها وتركها تذهب وهو يفكر في الأمر، أيعقل أنه تزوج؟ لا، ليس هذا، بل يجب أن يستغل كل لذة هو بها ليستمتعا سويا ويكون حقا يوما لا يُنسى يجب، لازما، بل حتما ولا بد أن يكون يوما لذيذا لهما سويا، سويا وإلى آخر لحظة، وإلى آخر العمر.